منهجُ القرآنِ في تهذيبِ غرائزِ الإنسانِ (غريزةُ حبِّ الاستطلاع)

د. أبو بكر علي الصديق*

* أستاذ مساعد في كلية التربية والعلوم الأساسية – قسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا.

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث تحليلاً وتفصيلاً لغريزة حبِّ الاستطلاع التي ميز الله بها الإنسان على سائر المخلوقات، ويبين منهج القرآن الكريم في تهذيب تلك الغريزة وتوجيهها، وتنمية وسائلها من خلال دعوته للنظر الهادف، والتأمل الثاقب والتفكير العميق في مظاهر الكون المختلفة.

ويتناول البحث – كذلك – موقف علماء النفس والأخلاق من تهذيب الغرائز، ودور الإيمان في ذلك التهذيب، وأساليب القرآن في الحث على الاستطلاع المشروع المرتبط بأهداف عظيمة، والتحذير من الموانع التي تحول دون ذلك الاستطلاع المنشود.

ويتناول البحث المجالات المشروعة لغريزة حبِّ الاستطلاع – من خلال القرآن الكريم – وكذلك المجالات الممنوعة التي حرم الإسلام استطلاعها، لأضرارها وأخطارها على الفرد والمجتمع.

وقد تجلت لي – خلال البحث – جملة من الأمور، يمكن تلخيصها فيما يلي:

- أولاً: إن غريزة حب الاستطلاع هي أسبق غرائز الإنسان التي تتناسب مع دوره الطليعي خليفة لله تعالى في هذه الأرض.
- ثانياً: إن القرآن الكريم حدّد لهذه الغريزة مجالاتٍ مشروعةً جعلها حلالاً، وأخرى ممنوعة جعلها حراماً.
- ثالثاً: إن تعطيل غريزة حبّ الاستطلاع أو الانحراف بها عن أهدافها بسبب الموانع المذكورة من اتباع الهوى والغفلة والتقليد الأعمى... وغيرها يعتبر جناية على عقل الإنسان ومجتمعه.
- رابعاً: إن النظر في تجارب الأمم والشعوب الماضية لأخذ العبرة والعظة سبب هام للبعد عن الأخطاء والتجارب الفاشلة.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بكماله، خلق الإنسان من سلالة طين، ثم جعله في أحسن تقويم، والصلاة والسلام على النبي الأمين ،الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه وجعله المثل الأعلى، والرحمة التامة للعالمين، والأسوة الحسنة لعباده، ورضي الله عن صحابته أجمعين، وآل بيته الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الحديث عن (منهج القرآن في تهذيب غرائز الإنسان) حديثٌ طويل وشائق. وهو في الوقت نفسه عميق ومعقَّد وشائك. ولكن رغم ذلك نجد أنفسنا لاهثين وراء اكتشاف المزيد عن هذا الإنسان وسبر أغوار نفسه المعقدة العجيبة. وقد حاول الفلاسفة الأقدمون معرفة خبايا النفس البشرية وما يكمن فيها من أسرار وعجائب، ولكنهم عجزوا عن ذلك، وضلوا ضلالاً بعيداً. وكذلك حاول علماء النفس والاجتماع في العصور المتأخرة أن يخوضوا ذلك الغمار؛ ولكن نتائج دراساتهم جاءت قاصرة دون الهدف،لاعتمادهم في ذلك المجال على عقولهم بعيداً عن نور الوحي الذي كشف المجهول وأزاح اللثام عن تلك الأسرارالخفية في النفس الإنسانية، خاصة – في ذلك – الجانب الذي يشكّل بعداً عميقاً في النفس الإنسانية، وهو ما أطلقنا عليه (الغرائز) التي غرزت وركبت وجبلت في أعماق هذه النفس.

لقد جاء القرآن الكريم (كتاب الله) يبين لنا ذلك ببساطةٍ ووضوح، فكشف لنا عن البعد الغامض للنفس الإنسانية، وفتح لنا كتاباً أكبر لقراءة تلك الأمور الخفية عن عقولنا من خلال أسلوبه المعجزالمعبّرالذي يخترق أعماق هذه النفس البشرية، ليوضح لنا ما كان مستوراً. وهذا أمرٌ طبيعيٌ لأن هذه النفس صنعة الله والقرآن كلام الله ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[1].

لقد حدثنا الله تعالى في كتابه عن مبدأ خلق الإنسان،ومكانته في هذاالوجود

---

(١) الملك: ١٤.

حيث سيكون خليفةً في الأرض، وبين تعالى أن هذا الخليفة (الإنسان) لم يُخلق للإفساد وسفك الدماء في الأرض – كما ظنت الملائكة – ولكنه يتصف بخصائصَ ومميزاتٍ كثيرةٍ، منها: العلم والحكمة التي تجعله أهلاً لتلك الخلافة، وأوضح لهم الحجة في فضيلة هذا الخليفة، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1]

فلما خلق الله الإنسان وأهبطه إلى هذه الأرض، حدَّد له غايةً من وجوده في هذه الحياة، وهي تحقيق العبودية لله تعالى، قال تعالى :﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[2] وتلك الغاية التي أناطها الله تعالى بهذا الإنسان تستدعي ابتلاءه بالخيروالشر، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[3]

فلا يفوز ولا ينجو إلا المخلص[4]؛ وذلك لتظهر الأشياءُ بأضدادها، فلو كان الخير وحده لما عُرف أنه خير. ولكن بوجود الشر وقبحه عرفنا وجود الخير وجماله.

وأمام هذه الحقيقة – وجود الخير والشر على السواء في هذا الوجود – نجد أن هذا الإنسان خلقه الله تعالى مزوداً بالاستعداد لفعل الخير والشر. وخلقه كذلك من مادة وروح،حيث تتجلى المادة في هذا الجسد الترابي الكثيف، الذي يشدُّ صاحبه إلى الأرض من خلال الغرائزوالشهوات، ولكن الروح الشفَّافة

---

(١) البقرة: ٣١ – ٣٣.
(٢) الذاريات: ٥٦.
(٣) الأنبياء: ٣٥.
(٤) نظم الدرر للبقاعي ٤١٨/١٢.

تتطلع إلى الملأ الأعلى تريد السموَّ بصاحبها وتحاول الاستعلاء به عن جنوح تلك الغرائز والشهوات.

والمتأمل في هذه الغرائز التي وجدت في هذا الإنسان، وجُبل عليها ومُزجت في تركيبته المعقَّدة يجدها متناسقة غاية التناسق ومتناغمة غاية التناغم، بحيث تحقق أهدافها التي حددت لها إذا أطاع الإنسان ربه في تهذيب تلك الغرائز، فيتأثر سلوكه إيجاباً وتسمو تصرفاته، ويدفعه ذلك إلى إعمار الكون برضى وسعادة. ومن هذا الجانب تعتبرالغرائز ضرورية في وجود الإنسان، ولكن قد تكون مدمرة كالإعصار، جبارة كالقمم الرواسي، إن لم تنل العناية الفائقة من التهذيب والتشذيب.

وهكذا تظهر آثار الغرائز، فلو خلق الإنسان دونها لما سعى في هذه الأرض طلباً لطعام أو شراب، ولا تحرك لعمل ولا لنكاح، ولو أنه ترك لتحركه غرائزه لانقلب إلى وحش كاسر، لا يعرف الرحمة أبداً.

بيان أهمية الموضوع:

تأتي أهمية هذا الموضوع من ناحيتين:

- **الناحية الأولى**: أنه يبحث في النفس الإنسانية، ويغوص في أعماقها، ويتكلم عن غرائزها و دوافعها وطباعها، ثم ينظر في تهذيب هذه الطبائع والغرائز.
- **والناحية الثانية**: أنه يعتمد في تهذيب هذه الغرائز على الكتاب والسنة، من خلال الآيات القرآنية الواردة في هذا الصدد مع أقوال المفسرين، ثم إلحاق ذلك بالأحاديث الواردة في هذا الموضوع أيضا. لكي نضع كل هذا أمام الباحث ليقارنه بما قاله الأخلاقيون والفلاسفة، دون إطالة في إيراد أقوالهم.

سبب اختيار البحث:

اخترت هذا البحث لتعلقه بأهم ميزة كرم الله بها الإنسان وهي العقل، لأن العقل هو مناط التكليف في الإسلام، حيث جعله من أول الأولويات التي تجب المحافظة عليها.

إضافة إلى أن هذا البحث يوجه الأنظار إلى واحدة من أسبق الغرائز ظهوراً في حياة الإنسان،ومن أهم الغرائز التي تجعل هذا الإنسان متمكناً من تسخير مظاهر الكون المختلفة؛ ليحصل من خلالها أسباب التقدم والقوة؛ لأنها توفر لهذا الإنسان دافعا للاكتشاف والاختراع والاطلاع. بالإضافةإلى رغبتي في فتح صفحة جديدة في مباحث التفسير الموضوعي الأخلاقي التربوي، بعيداً عن تعقيد الفلاسفة، وغموض المتصوفة. وأقدمه ببساطة ووضوح؛ ليكون عوناً للباحثين عن أصول تربوية نقية، تعتمد على الكتاب والسنة.

منهجي في البحث وتحديد موضوعه:

- **أولا**: اعتمدت في البداية جمع الآيات القرآنية، التي تتحدّث عن الموضوع وصنفتها حسب المباحث التي شكلت البحث.
- **ثانيا:** لم أثبت أقوال المفسّرين في كل آية – غالباً – لأن هذا أمر يطول ولا يحتمله هذا البحث المختصر، وإنما اكتفي باتفاقهم على الفكرة وإثبات مراجعهم – فقط – لمن يريد مراجعة الموضوع دون نقل نصوصهم، خاصَّة في المبحث الثالث.
- **ثالثا:** اعتمدت المراجع العلمية القديمة والحديثة على السواء، واستخلصت منها فكرة عامة عن الموضوع، وجعلت الغرض الأساس في هذا البحث تكوين فكرة جديدة عن موضوع الغرائز الإنسانية وأسلوب القرآن في تهذيبها، بأسلوب جديد أرجو أن ينال تقدير الباحثين، وقد اقتضى مسار البحث أن أجعله في مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فتضمن الاستهلال وبيان أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهج البحث.

وأما التمهيد فذكرت فيه المصطلحات المتعلقة بالبحث، مثل: النظر، والتفكّر، والرؤية، والغريزة والاستطلاع، والتهذيب ...

- **والمبحث الأول**: فيه بيان لرأي الفلاسفة والأخلاقيين في تهذيب الغرائز، وأثر الإيمان في ذلك التهذيب.

- **والمبحث الثاني:** تحدثت فيه عن مكانة غريزة حبِّ الاستطلاع بين غرائز الإنسان وبينت حدودها.
- **والمبحث الثالث:** بينت فيه أساليب القرآن في الحثِّ على الاستطلاع المشروع.
- **والمبحث الرابع:** بينت فيه المجالات المشروعة لغريزة حبِّ الاستطلاع من خلال القرآن الكريم.
- **والمبحث الخامس:** بينت فيه أهداف الاستطلاع المشروع من خلال القرآن الكريم.
- **والمبحث السادس:** تحدثت فيه عن الموانع التي تحول دون توجيه الاستطلاع نحو وجهته السليمة.
- **والمبحث السابع:** أشرت فيه إلى مجالات الاستطلاع الممنوع كما ذكرها القرآن الكريم.
- **وفي الخاتمة:** ذكرت النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، والتوصيات الموجهة إلى الباحث المسلم.

تمهيد

قبل أن نشرع في الحديث عن منهج القرآن في تهذيب غريزة حبِّ الاستطلاع عند الإنسان، لابد من الإشارة إلى أربعة أمورتتعلق بتعريف مصطلحات هذاالبحث وهي:

أولا: كلمات قرآنية متعلقة بالاستطلاع.

ثانيا: معنى الغريزة في اللغة وعند علماء النفس.

ثالثا: معنى الاستطلاع.

رابعا: معنى التهذيب.

أما الأمر الأول: فإن أهم الكلمات القرآنية المتعلقة بهذا البحث ما يلي:

١ – النظر: (تقليب البصروالبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، ونظرت في كذا: تأملته..والنظر: البحث)[١].

٢ – التفكر: (والفكرة: قوّة مطّرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكّر: جولان تلك القوّة بحسب نظر العقل... والفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها، طلبا للوصول إلى حقيقتها)[٢].

٣ – الرؤية: إدراك المرئي، والرؤية تكون بالحاسّة وبالتفكّر وبالعقل،وإذا عدّي بإلى اقتضى النظر المؤدّي إلى الإعتبار[٣].

٤ – التذكّر: ويكون بتكرار القلب على ما علمه وعرفه؛ ليرسخ فيه ويثبت،أو لجلب معرفة قديمة، ذهل عنها، أوغشيتها الغفلة والنسيان.

٥ – التدبّر: النظر في أدبار الأمور، وهي أواخرها وعواقبها،وذلك بتكرار النظر مرّة بعد مرّة.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص٨١٤، دار القلم دمشق

(٢) المرجع السابق: ص٦٤٣.

(٣) المرجع السابق: ص٣٧٤-٣٧٥.

٦ – العقل: هو القوة المتهيئة لقبول العلم، فهو آلة الفهم والإدراك والتمييز للوصول إلى الحقيقة.

ويرى بعض العلماء أن التدبروالتفكريتعلقان بالتحليل والاستنتاج، والتذكر في حفظ ما توصل إليه العقل، واللب مركز التذكر والتدبر والاتعاظ، وعنه تصدر النتائج الفكرية إلى الفؤاد، والفؤاد: مركز الميل الإرادي لفعل الخير أو الشر، والقلب لتحريك العواطف، وتنبيه الإرادة صاحبة السلطة في توجيه السلوك. فكلها أساليب ووسائل متكاملة تمكن الإنسان من الوصول إلى المعرفة والاطلاع.(١)

وأما الأمر الثاني: فإن معنى الغريزة عند أهل اللغة: الطبيعة والسجية والقريحة من خير أو شر، وقال بعضهم: هي أصل الشيء، كغرز الشجر مثلا، وقد يراد بها معنى الخلق كما قال الشاعر:

إن الشجاعة في الفتى والـ جود من كرم الغرائز

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه: "الجبن والجرأة غرائز". أي خلق وطبع(٢).

وأما الغريزة عند علماء النفس: فقد تعددت أقوالهم في تعريفها وأهم تلك التعريفات مايلي:

١ – عرّفها ماكدوجال بأنها: استعداد فطري نفسي جسمي، يدفع الفرد إلى أن يدرك وينتبه إلى أشياء من نوع معيّن، ويشعرإزاءها بانفعال خاص، ثمّ يسلك نحوها سلوكاً معيناً، أو يحاول ذلك على الأقل.

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها: ج١/ ٣١٣-٣٢١.عبد الرحمن حسن حبنكه دار القلم دمشق.

(٢) لسان العرب:٥/٣٨٧(غرز)، وتاج العروس:١٥/٢٥٥ (غرز)، وانظر مختار الصحاح مادة غرز ص٧٤٢.

فالغرائز لايكتسبها الفرد، وإنما يزوّد بها عن طريق الوراثة، وهي الدفعات الأصلية في كل نشاط وفاعلية.[١]

٢ – وعرّفها آخرون بأنها: حالة داخلية أو استعداد داخليّ فطريّ أو مكتسب شعوريّ أولاشعوريّ عضويّ أواجتماعيّ أونفسي، يثيرالسلوك ذهنياً كان أو حركيّاً – ويوصله ويسهم في توجيهه إلى غاية شعورية أو لاشعوريّة.[٢]

٣ – ومن تعريفات الغريزة أنها: مجموع معقّد من ردود الفعل الخارجية والوراثية المشتركة بين جميع أفراد النوع، والمتعلقة بغرض معيّن لايشعر به الفاعل، وهي صورة من صور النشاط النفسي وطراز من السلوك يعتمد على الفطرة والوراثة البيولوجية.[٣]

والمتأمل في تعريفات علماء النفس للغريزة يجد اختلافاً واضحاً في ألفاظهم، ويبدو أن ذلك المصطلح قد تطوّرت ألفاظه المعبّرة عنه كما يقول أحدعلماء النفس:

(ثمّ تطوّر مفهوم الغريزة إلى مفهوم آخر، وهو الدافع والحاجة، فالدافع حالة من الاستثارة ناجمة عن حاجة عضليّة أو جسميّة عامّة كالحاجة إلى الطعام والماء، وحالة الاستثارة هذه تدفع بالفرد إلى أن يسلك سلوكاً مّا يشبع أو يرضي هذه الحاجة..[٤]

هذه أهم تعريفات علماء النفس للغريزة، ولكن بالرجوع إلى معنى الغريزة في اللغة وعند علماء النفس يمكن تعريف الغرائزبما يلي:

الغرائز: مجموعة من الاستعدادات التي أودعها الله سبحانه وتعالى في طبيعة النفس البشرية؛ لتقوم بوظيفة مهمة في الكيان الإنساني، تدفعه للسلوك

---

(١) معجم المصطلحات النفسية والتربوية ص١٧٥.د.محمد مصطفى زيدان.
(٢) معالم علم النفس ص ٢٢٣ د. عبدالرحمن العيسوي.
(٣) المعجم الفلسفي ج٢ ص١٢٧ د. جميل صليبا.
(٤) المدخل الى علم النفس ص١٨٦-١٨٧د. عبدالرحمن عدس.

المراد، وليتحقق من خلال المؤثرات البيئية والوراثية والدينية سبل إشباعها وتهذيبها.

وأما الأمر الثالث: فنعني بالاستطلاع: التطلع إلى ما حول الإنسان والتفكير فيه. وأصل الاستطلاع في اللغة:النظروالتطلّع إلى الشيء والطلعة: الرؤية، ويقال: اطّلعت الفجر اطّلاعا، أي نظرت إليه حين طلع، والاستطلاع:الفكر،ولكن الفكر يطلق على الاستطلاع مجازا، تقول: استطلع فلان الأمرأواستطلع رأي فلان إذا نظرماعنده وما الذي يظهر إليه من أمره.(١)

وأما الأمرالرابع: فإن التهذيب في اللغة هو:التنقية والتخليص والتنقيح والترتيب. أما التنقية: فيقال: هذّب الأشجارإذا نقاها من الأطراف الزائدة، وأما التخليص: فيقال: هذَّب النخلة إذا خلَّصها من الليف، وأما الإصلاح فيقال: رجل مهذب: أي صالح عالج نفسه للصلاح. و أما التنقيح: فهو في معنى التنقية. وأما الترتيب: فيقال: هذَّب شعره إذا أحسن ترتيبه(٢).

ونحن نقصد بالتهذيب كلَّ هذه المعاني، ونزيد عليها معنىً لم يذكره أهل اللغة، وهو معنى التقويم، لأن في غرائز النفس اعوجاجاً قوَّمه القرآن، وبين الله في كتابه كيفية ذلك التقويم، وهو موضوع بحثنا هذا، وبالله التوفيق.

---

(١) لسان العرب ٨/٢٣٦ (طلع)، وتاج العروس ٥/٤٤١-٤٤٢(طلع)

(٢) لسان العرب: ١/٧٨٢ (هذب)، وتاج العروس: ١/٥١٣ (هذب).

المبحث الأول
رأي الأخلاقيين والفلاسفة في تهذيب الغرائز، ودور الإيمان في ذلك التهذيب

يضطرب الأخلاقيّون والفلاسفة في تحديد معنى الغريزة وصلتها بالأخلاق كاضطرابهم تماماً في فهم النفس البشرية. فهم يسمون الغريزة خُلُقاً أحيانا، كما يرى ولتر لبمان[١] مع أنه يسمي حب التملك غريزة [٢] وكثير منهم يبدون حيرتهم الشديدة إزاء طبيعة النفس البشرية، ويصرحون بعدم توصلهم إلى إيجاد مقياس صحيح للسلوك ينطبق على جميع أفراد الجنس البشري[٣] وآخرون منهم لا يحدِّدون السلوك الصحيح، هل هو كبح جماح رغبات النفس أو بذل الجهد في تحقيقها.[٤] وإلى جانب حيرتهم في فهم النفس البشرية، هم مختلفون في كيفية تهذيبها، وهم منقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١ – قسم يرى أن التهذيب يتوقف على الطبيعة الإنسانية، على أساس أن السلوك الإنساني فطري في الإنسان، وأن الغايات التي خلق الإنسان من أجلها محفورةٌ في طبيعته.

٢ – وقسم يرى أن البيئة هي الأساس في تشكيل الشخصية، كما أنها الأساس في تهذيب النفس والسلوك.

٣ – وقسم يرى أن التهذيب ينبني على المشاركة بين البيئة وطبيعة الإنسان الاجتماعية[٥]

---

(١) مدخل علم الأخلاق ص١٦٩ / ولتر لبمان.
(٢) المرجع السابق ص٢٤٣.
(٣) مدخل الفلسفة لجون هرمان راندل وجوستاس بوخلر ص٢٧٤ ترجمة د. ملحم قربان ط دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٣ م.
(٤) المرجع السابق، وينظر المباديء الأخلاقية لجون ديوي ص٥٥.
(٥) الرتبية العامة لرونيه أوبير ص٧٠.

ومنهم من يسمي الغرائز دوافع ويعتبرها قسمين:

قسم يرتبط بمطالب الجسم للمحافظة على النوع وبقائه، وهي دوافع فسيولوجية ويسمونها بالدوافع الأولية، وقسم يرتبط بالكيان النفسي للشخص، وهي مكتسبة نتيجة للتفاعل بين الفرد والبيئة، وتسمى الدوافع السيكلوجية[١].

أما الأخلاقيون المسلمون: فيرون (أن النفوس البشريّة المزودة فطريّا بالغرائز وبالعقل يلاحظ عند كثير منهم قدرات للانبعاث التلقائي؛ لتصعيد تلك الغرائز إلى أعلى،وقد يكون ذلك إما بفضل استعداد فطريّ عندهم، وإما أن يكون ثمرة جهد بعد فترة تتفاوت في طولها، وفيما تخللها من معاناة.)[٢]

وقد تحدّث العالم الجليل ابن مسكويه في هذا الموضوع حديثا مفصّلا مبينا أهمية ذلك التقويم، فالأطفال – مثلا – يتفاوتون في طباعهم وميولهم واستعدادهم لقبول الأدب أو نفورهم عنه، فالشّرير منهم قد ينتقل بالتأديب إلى الخير، وهذا أمر واضح للعيان.

وإذا أهملت الطباع ولم ترض بالتأديب والتقويم نشأ كل إنسان على سوم طباعه.)[٣] وهنا يظهر لنا جليّا موقف العلماء المسلمين من تعديل الغرائز وتصعيدها، فهم يرون أن الغرائز قابلة للتهذيب والتصعيد والتعديل من خلال التدريب، ولذلك كانت مسؤولية الإنسان عن تلك الغرائز، لدخولها تحت سلطان إرادته وقدرته، والأمثلة على ذلك كثيرة: (فأسرع النّاس استجابة لانفعال الغضب يستطيع بوسائل التربية أن يكتسب قدراً مّا من خلق الحلم، متى صمّم - بإرادته- على ذلك،فإذا أهمل في تربية نفسه وتركها من غير تهذيب جنحت به

---

(١) أصول التربية وعلم النفس ص٣٦د. محمد رفعت رمضان ورفاقه، ط دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٨٤ م.

(٢) دستور الأخلاق في القرآن ص٥٩٦ د. عبدالله دراز ط مؤسسة الرسالة، بيروت ط٤ ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.

(٣) تهذيب الأخلاق وتطهيرالأعراق لابن مسكويه ص٤٦-٤٧ منشورات مكتبة العباسية مصر.

نفسه، وحوسب على إهماله، وأشدّ الناس بخلا وحبا للتملّك يستطيع بوسائل التربية أن يكتسب قدراً أكبر من خلق حبّ العطاء،

والمفطور على الجبن يستطيع بوسائل التربية المقترنة بالإرادة على تحصيل الشجاعة وهكذا...)[١]

وقد أشارت السنّة الشريفة إلى تفاوت النّاس في الطباع النفسيّة كالخوف والغضب والطمع وغيرها، وبيّنت إمكانية تصعيد وتهذيب تلك الغرائز والطباع فقال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم: (النّاس معادن خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)[٢] فقوله: (معادن) دليل على فروق الطباع الخلقيّة،وقوله:(إذا فقهوا) دليل على إمكانية تهذيب وتصعيد تلك الطباع والغرائز[٣].

بيان أثر الإيمان في تهذيب الغرائز

إذا كانت الغرائز شديدة التأثير على سلوك الإنسان وتصرفاته، فقد تجنح بصاحبها فتسيره في مسالك غير مهذبة،لا يقرها شرع ولا يرضى عنها المجتمع. لذلك فهي بحاجة ماسة إلى قوة الإيمان وطاقته، ليوجهها ويسمو بها إلى اتجاه راق صالح يوافق الشرع ويقره المجتمع.

وهذا هو منهج القرآن الكريم الذي ربط بين تلك الغرائز الجيَّاشة في النفس، وبين الإيمان بالله تعالى وجزائه الأخروي، الذي يلعب دوره الكبير في تهذيب تلك الغرائز، وخير مثال على ذلك قوله تعالى وهو يشير إلى بعض الغرائز: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها ج١ ص١٩٢.

(٢) متفق عليه واللفظ للبخاري رقم ٣٢٠٣ ج٣ كتاب الأنبياء باب قول الله: (لقد كان في يوسف وإخوته.

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها ج١ ص١٧٨-١٧٩.

ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾[1]

فقد ذكرت الآية أربعاً من أهم الغرائز، وهي الغريزة الجنسية، وغريزة حبّ التملّك وغريزة حب الظهور، وغريزة حب البقاء في التكاثر. فهذه الأمور مزينة للنفس، أصيلة في فطرة الإنسان،أنشئت في جبلته كما قال أبو حيّان[2]. وقال الرازي: إنها – بخلق الله – مستغرقة جميع البشر[3] فهو إذن جزءٌ غريزيٌّ من تكوينه الأصيل لاحاجة إلى إنكاره، فهو ضروري لحياة البشر، لتنمو وتطّرد، ولكن الواقع يشهد – كذلك – بأن في فطرة الإنسان استعداداً آخر للتسامي بغرائزه وتنقيتها من الشوائب، بحيث تصبح مأمونة لا يطغى فيها جانب اللذة الحسية ونزعاتها على الروح الإنسانية والاتجاه إلى الله وتقواه، وهذا التسامي بتلك الغرائز الإنسانية هو ما يمتاز به الإسلام بمراعاته للفطرة، وقبوله بواقعها، ومحاولة تهذيبها، لا كبتها وقمعها، تجنباً لما يحدثه الكبت من أمراض نفسية وآلام جسدية. وبعد هذا التقرير للواقع الذي قدمته الآية عن غرائز الإنسان، بدأ القرآن بوضع منهج التهذيب لتلك الغرائز، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ فذلك الذي ذكرته الآية في عرضها لتلك الغرائز إنما هو لذات حسيَّة من متاع الدنيا، وليس من متاع الحياة السامية الراقية الرفيعة في الدار الآخرة، فأما من أراد الذي هو خير من هذا كله – خير لأنه أرفع في ذاته، وخير لأنه يرفع النفس الإنسانية ويصونها من الاستغراق في الشهوات الأرضية والانكباب عليها، من أراد الذي هو خير – فعند الله حسن المآب. ثم أردف هذه الآية بما يعلي من هذه الغرائز ويتسامى

---

(١) آل عمران:١٤-١٥.
(٢) البحر المحيط لأبي حيَّان: ١٤-١٥.
(٣) التفسير الكبير للرازي: ج٧/ ١٩٥ في تفسير الآية.

بها؛ ليضمن سلامة الكائن الإنساني من هذا الصراع المحتدم بين شطري النفس البشرية، بين نوازع الشهوة واللذة وأشواق الارتفاع والتسامي فقال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾ وهذا المتاع الذي تذكره الآية نعيم حسي في عمومه، ولكنه من متاع الآخرة، وفرق كبير بين ملذات الدنيا الفانية وملذات الآخرة الباقية، فهناك جنات تجري من تحتها الأنهار وهناك نساء مطهرات، وفوق كل ذلك ما هو أعظم من ذلك وأكبر من كل لذة وشهوة، هناك رضوان الله، رضوان يملأ قلب الإنسان حباً لله ورغبةً بما أعده الله لعباده المؤمنين الذين اتصفوا بالتقوى، فهذه لذات كما قال البقاعي[1]. وهكذا يرفع الإيمان أصحابه المتقين إلى قيم أعظم من شهوات الدنيا. حيث يستمد من إيمانه القدرة على مقاومة المغريات والفتن فتصبح طاعة الله ورضوانه ألذَّ عنده من الشهوات الحسية الدنيوية فيعرض عما سوى ذلك، كما قال الألوسي.[2]

فالإنسان عندما يشعر بهذا الشعور ويتسلح بهذا الإيمان لا يهمه بعد ذلك شيء ولو ملك الدنيا بحذافيرها؛ لأنه ساعتها سوف يسخرها لمرضاة ربه، وإعمار كونه، ويحقق خلافة الله في أرضه، وهكذا يسمو الإيمان بصاحبه فوق شهوات الدنيا، فيبتغي الآخرة الباقية، ويتعالى على متاع الدنيا الفانية.

---

(١) نظم الدرر للبقاعي: ٤/٢٧٦ وما بعدها.

(٢) روح المعاني للألوسي: ٢/١٠.

المبحث الثاني
مكانة غريزة حبِّ الاستطلاع بين غرائزالإنسان وبيان حدودها

خلق الله تعالى الإنسان وجبله على طبائع كثيرة وغرائز متعددة، هذه الغرائز لها أوقات محددة لظهورها، وإذا أمعنا النظر في أسبق هذه الغرائز إلى الظهور نجد أنها غريزة حب الاستطلاع، فالطفل تبدأ معه هذه الغريزة من مجرد استطاعته التمييز بين الصور، فيحاول أن يعرف أمه ثم أباه ثم أسرته، فإذا رأى أشياء لفتت انتباهه حاول أن يلمسها أو يمسكها أو يضعها في فمه؛ لأن التذوق عنده أول وسيلة لمعرفة الأشياء، وكذا إن سمع صوتا أو رأى شيئا يصدر صوتا فإنه يتحفز للمعرفة، ولاستطلاع ما بداخل هذه الأشياء، أو لاستطلاع طبائعها وميزاتها. فإذا ما ترقّى في سنه وبدأت عنده مرحلة الكلام فانه يبدأ بالسؤال عن الأشياء، خاصّة في السنوات ما بين الرابعة والخامسة،[١] فهذه هي غريزة حب الاستطلاع، التي دفعت الإنسان عبر مراحل حياته المختلفة إلى الاستزادة من العلم وهي التي حفزته للاكتشاف والاختراع، كما مكنته من تطوير أساليب حياته حتى استطاع بعد ذلك بناء الحضارات الإنسانية عبر التاريخ.[٢]

(وغريزة حب الاستطلاع تثيرها الأشياء التي لايعرفها الفرد، وانفعالها الدهشة،وسلوكها هو البحث والتنقيب وارتياد الأماكن المجهولة).[٣]

فهذه الغريزة إذن تشكّل دافعاً للإنسان للبحث والتنقيب وكشف ما حجب عنه واكتشاف ماخفي (ولولا وجود هذا الدافع لما وسّع الإنسان في إطار

---

(١) المدخل الى علم النفس ص١٩٨ د.عبدالرحمن عدس، ود. محيي الدين توق. دار الفكر للنشر والتوزيع ط٣ عمان الأردن.

(٢) مقدمة في علم النقس ص٢١٦ د. راضي الوقفي ط٢/ ١٩٨٩المؤسسة الصحفية الأردنية.

(٣) أصول علم النفس الحديث ص٢٥ د.عبدالرحمن العيسوي المكتب العربي الحديث الأسكندرية.

حدوده ومعرفته الشيء الكثير الذي يزيد عن المعرفة الضرورية للبقاء البيولوجي، إن هذا الدافع يكون موجها بتأثير الرغبة في معرفة البيئة...)[١]

وإذا تأملنا أحوال البشر وجدناهم على طبقات متفاوتة من المعرفة، وقد يفرِّط أصحاب المعرفة في ادعائهم معرفة حقائق الأشياء كما يفرطون في نسبة غيرهم إلى الجهل، وكثيراً ما قرأنا عن جهل الإنسان الأول، وأنه أشبه بالقرد يعيش في الغابة لا يعلم من حقائق الأشياء التي تحيط به شيئا، وهذا كلام باطل ولا أصل له من الصحة، وهو يتنافى مع دور الديانات المبنية على الوحي الإلهي الذي بدأ دوره في تعليم الإنسان وتنظيم حاجاته منذ نزول الإنسان الأول إلى هذه الأرض، بل إن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها، وعرَّفه على المسميات وحجب هذه المعرفة حتى عن الملائكة، وهذا يدل على تكريم الله تعالى لهذا الإنسان، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.[٢] قال ابن عباس:علّم الله آدم الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، دابة، وأرض، وبحر، وسهل، وجبل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم.[٣] وفي رواية سعيد بن جبير: أن الله تعالى علمه أسماءَ ألفِ حرفة، وأمره أن يعلمها ذريته وأولاده.[٤] ولا بأس بأن نجمع بين القولين، ونقول: علم الله تعالى آدم الأسماء ومسمياتها، وعلمه من المهن والحرف ما يحتاجه في رحلة وجوده على سطح الأرض. وهذا يدل على أمرين اثنين:

---

(١) المدخل الى علم النفس ص١٩٨.

(٢) الآيات ٣١ – ٣٣ البقرة.

(٣) تفسير الطبري: ١/٢٥٢ط دار الكتب العلمية في تفسير الآية نفسها، وكذا تفسير ابن أبي حاتم ١/٨٠.

(٤) الدر المنثور للسيوطي: ١/١٢١ط (دار الفكر).

- أولا: أن غريزة حبِّ الاستطلاع عند آدم عليه السلام كانت مشبعة بكل أصناف المعرفة التي يحتاجها في الدنيا.
- ثانيا: أن آدم عليه السلام كان نبياً وله شرع يتضمن الحلال والحرام، وهذا يدل على أمر هام جداً وهو أن هذه الغريزة ضبطت وهذبت بالشرع منذ البداية، وهذا منهج الرسالات السماوية عبر القرون والأجيال البشرية التي تعاقبت في وجودها على هذه الأرض، وعليه فإن كل ما يقال عن الإنسان البدائي وما يصوره المؤرخون كله باطل، وإذا وجد بعض البشر في الغابات أو في جزر نائية لا يعرف شيئاً عن الحياة فهذا استثناء، والأصل أن الإنسان حضاري منذ أول وجوده، حضاري بالتشريع الإلهي، الذي يحدِّد الحقوق ويحدُّ من الرغبات.

ويحسن بي في نهاية هذا التمهيد أن أحدّد موضوع هذا البحث من خلال تحديد مجالات بحث هذه الغريزة، بعد عرض مفهومها من حيث اللغة وعند علماء النفس، وذلك لتتضح علاقة المباحث المطروقة في البحث بهذه الغريزة، حيث يمكننا استنتاج مايلي:

١ – إن غريزة حبِّ الاستطلاع تدفع الإنسان لمعرفة ما يحيط به وتشرف نفسه للتطلع إليه، وقد يكون ذلك بالبحث والنظر والتأمل في النفس الإنسانية ومظاهر البيئة المحيطة بالإنسان بدراسة خصائصها، واستنباط أسرارها، التي تزوّد الإنسان بجملة من العلوم النافعة، التي تؤدي إلى تقدمه في شتّى مجالات الحياة، وتمكنه من تسخير مظاهر الكون المختلفة؛ لتكون في منفعته، وبناء على ذلك تكون هذه الغريزة إيجابية، تعود بالخير على الإنسان؛ لأن بحثها وافق المجالات المشروعة، وقد تكون سلبية إن خرج بحثها عن حدود المجالات المشروعة، وعندها توجّه هذه الغريزة ونتائج بحثها إلى الشر والإضراروالأذى الذي يصيب الإنسان كما نرى اليوم حيث سُخّرت الكثيرمن الاكتشافات والاختراعات للخراب والدمار، كصناعة الأسلحة النووية والاستنساخ البشريّ وغيرذلك من الصناعات التي أصبحت مصدر رعب يتهدّد أمن البشريّة اليوم.

إن غريزة حبِّ الاستطلاع تدفع الإنسان لاستكشاف ماخفي عنه، سواء أكان ذلك المخفيّ خيراً أم شراً، وسواء أتعلّق ذلك بالمعرفة النافعة أم الضارّة، فهذه الغريزة التي تدفع الإنسان لاستكشاف الفضاء، وللغوص في أعماق المحيطات، وللبحث في جزيئات الذرة وغيرها من العلوم النافعة، فإنها هي نفسها التي تدفع الإنسان للتجسّس والتحسّس والنظر إلى عورات الآخرين، وهنا يظهر للباحث علاقة هذه الغريزة بالجانب الأخلاقي من حياة الإنسان، ومن هنا كان حثّ القرآن للمؤمنين على غضِّ الأبصار بقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾[1]

وهنا تظهرلنا حدود هذا البحث في الغريزة المذكورة، حيث لايقتصر على الجانب المعرفيّ فقط، بل يتدخّل في الجانب الأخلاقيّ كذلك، وكلّ من الجانبين يحتاج إلى ضوابط وتهذيب، وهذا ما تكفّل به القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم وضع منهجاً رائعاً يمتاز بالدقة والحكمة البالغة في تنظيم غرائز الإنسان بعامة وغريزة حبِّ الاستطلاع بخاصة، حيث جعل الاستطلاع نوعين: استطلاعاً مشروعاً دعا إليه، واستطلاعاً ممنوعا حذَّر منه.

---

(١) النور:٣٠.

المبحث الثالث
أساليب القرآن في الحثِّ على الاستطلاع المشروع

أما الاستطلاع المشروع: فقد حثّ القرآن الكريم عليه وطالب هذا الإنسان أن يعمل عقله فيما حوله، وفيما يقع عليه بصره، وفتح أمامه آفاق الكون الرحيبة ليستكشف المجهول، ويدرس طبيعة الكائنات المبثوثة في هذا الكون الفسيح، فقد كرّم الله تعالى الإنسان بالعقل؛ ليستنتج من خلال تأملاته أسرار هذا الوجود الكبير، وقد استخدم القرآن أساليب عديدة، وصيغاً مختلفة في حثِّه على الاستطلاع المشروع.

والملاحظ أن هناك عدة ألفاظ ذكرت في القرآن لها علاقة مباشرة بغريزة حبِّ الاستطلاع، استخدمها القرآن بأساليب متعددة، وهي: النظر والتفكر والتذكر والعلم والعقل- كمابينّا في تعريف المصطلحات المتعلقة بالبحث سابقاً- فالنظر القاصد في مجالات المعرفة يحرك العقل لاستكشاف المجهول، وهذه الحركة هي التي يسميها القرآن (تعقُّلاً)، وإذا عقل الإنسان الأمور حصل له العلم، وهذا العلم لابد له من وسائل لحفظه، فكان لابد من التذكر.

فمن الكلمات القرآنية التي تمتاز بدلالة كبرى هنا: كلمة (نظر) وما اشتق منها، فالقرآن الكريم دعا في عشرات الآيات إلى النظردعوة صريحة، وطالب هذا الإنسان بأن يستخدم بصره الذي يشكّل أساساً لطلب العلم المادي القائم على الملاحظة والتجربة، ومن خلاله حثه على التأمل والنظر في سائر الآيات الكونية التي بثها الله في الآفاق.

وهذا سياق سريع لبعض الآيات التي جاء الأمر بالنظر فيها صريحاً، وهذا ما تفيده نفس الآيات التي جاءت مصدرة بهذا الاستفهام ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾، و﴿أَلَمْ تَرَوْاْ﴾ التي تطالب الإنسان بالرؤية، وكذلك ﴿ٱنظُرُواْ﴾، و﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ وسوف نسوقها أولاً، ثم نكرُّعليها بالتعليق ثانيا.

وهذا سياق لبعض الآيات في هذا الباب على سبيل التمثيل لا الحصر.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾[2]

ويقول أيضا: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[3]

وقد تكررت هذه الصيغة مرات عديدة في آيات القرآن الكريم وكلها تحث الإنسان على استطلاع تاريخ الأمم السابقة؛ لأخذ العبرة والعظة منه[4]

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾.[5]

وقال أيضا: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾[6]

---

(١) الأعراف: ١٨٥.
(٢) يوسف: ١٠٩.
(٣) الروم: ٩.
(٤) يرجع إلى الآيات: (٤٤ فاطر) و(٢١- ٢٢ غافر) و(١٠ محمد).
(٥) الأنعام: ٩٩.
(٦) يونس: ١٠١.

وقال أيضا: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾[1]

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[2]

وقال أيضا: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[3] ويقول سبحانه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾[4]

ويقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[5]

فهذه الآيات – وكثير غيرها – حثت على النظر صراحة؛ ليستطلع الإنسان آفاق هذه العوالم الكونية؛ ليسبر أغوارها ويكتشف أسرارها.

وبالإضافة إلى ذلك نجد عشرات الآيات القرآنية قد وجهت هذا الإنسان لإشباع غريزة حبِّ الاستطلاع لديه من خلال المجالات المشروعة التي توجه هذه الغريزة.

ومن تلك الآيات ما يلي:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى

---

(١) العنكبوت:٢٠.
(٢) ق: ٦-٨.
(٣) عبس: ٢٤-٣٢.
(٤) الطارق: ٥-٨.
(٥) الغاشية: ١٧-٢٠.

ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾[1]

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾[2]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾[3]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾[4]

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾[5]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾[6]

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾[7]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾[8]

---

(١) النور: ٤٣.
(٢) الفرقان: ٤٥.
(٣) لقمان: ٢٩.
(٤) لقمان: ٣١.
(٥) نوح: ١٥ ـ ١٦.
(٦) النحل: ٤٨.
(٧) النحل: ٧٩.
(٨) الشعراء: ٧.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾[1]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[2]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾[3]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾[4]

ومن الكلمات القرآنية التي تشكِّل جوهراً هاماً في بحثنا عن غريزة حبِّ الاستطلاع: كلمة (التفكر) التي تعني تحريك قوة العقل لاستنتاج العلم ومثله التدبر والتعقل وقد تكررت هذه المادة عشرات المرّات في القرآن الكريم.

وسوف أسوق بعض الآيات كنموذج على هذا الجانب، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾[5]

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[6].

وقال أيضا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾.[7]

---

(١) العنكبوت: ١٩.
(٢) السجدة: ٢٧.
(٣) يس:٧١.
(٤) الملك: ١٩.
(٥) الروم:٨.
(٦) الرعد: ٣.
(٧) النحل: ١٠-١١.

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[1]

وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾[2].

كما أثنى الله تعالى على أولي الألباب، وهم: أصحاب العقول المفكرة المتدبرة لآيات الله التي بثها في هذا الكون.

وقد تكررت كلمة ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ست عشرة مرة في القرآن الكريم عرضت في كل مرة نموذجا من تفكير هؤلاء الراجحين في عقولهم المستخدمين لحواسهم وعقولهم في عملية التفكير. وسأسرد بعض النماذج من ذلك.

قال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[3]. ومرة أخرى يثني القرآن على أولي الألباب الذين وجدوا في آيات الله تعالى التي تملأ هذا الكون مجالا فسيحا ورحبا للتأمل والتفكر، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[4].

بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية هدد الذين

---

(١) النحل: ٦٨-٦٩.
(٢) الجاثية: ١٣.
(٣) البقرة: ٢٦٩.
(٤) آل عمران: ١٩٠-١٩١.

لا يعملون عقولهم في الآيات الكونية التي تدل على عظمة الله تعالى. فقد اخرج ابن حبان في صحيحه وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله عنها: أن بلالا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يؤذنه لصلاة الصبح فوجده يبكي فقال يا رسول الله: ما يبكيك؟ قال: "وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل عليّ هذه الليلة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ثم قال: "ويل لمن قرأها ولم يتفكر".(١)

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن نشير إلى أن القرآن الكريم قد استخدم اصطلاحا يوازي معنى ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وهو ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ أي أولي العقول، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن مرتين كلتاهما في سورة طه. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾(٣).

وأما مادة (عقل) فقد ذكرت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة ٤٩ مرة موزعة بين صيغة (تعقلون - يعقلون - وعقل - ونعقل - ويعقل) وجاء الحديث في القرآن عن العقل باسم الفؤاد مفرداً ومجموعاً، إذ هو من أهم وسائل العلم الثلاث السمع والبصر والفؤاد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾(٤).

كما تحدث القرآن كثيراً عن هذه الوسائل الهامة في المعرفة، موجهاً الناس

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه.
(٢) طه: ٥٣-٥٤.
(٣) طه: ١٢٨.
(٤) الإسراء: ٣٦.

إلى شكر الله تعالى عليها، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾[1]. وقد تكرر ذكر ذلك مرات عديدة في القرآن الكريم، وذمَّ الله تعالى في القرآن الكريم أولئك الذين لا يستخدمون وسائل المعرفة التي زوَّدهم بها للوصول إلى الهداية، وعدّ ذلك ضلالاً كبيراً يؤدي بأصحابه إلى نار جهنم فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾[2].

وعندما يدخل أولئك الضالون جهنم يوم القيامة يعترفون بإهمالهم في استخدام ما زودهم الله به من وسائل المعرفة التي تجعل هذا الكون بكل موجوداته مجالاً رحباً للتأمل والتفكر والتعقل؛ ليزداد يقين الإنسان بالله ورسالاته، وهذا ما بينته لنا الآية الكريمة حكاية عن أهل النار بعد دخولهم فيها، فيقول تعالى ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾[3].

وبذلك يكون القرآن الكريم جعل التفكير واستخدام الوسائل المساعدة على ذلك واجباً على الإنسان العاقل في هذه الحياة، ولو أهملها أو وجهها غير الوجهة الصحيحة فإنه سيفسد عليه الدنيا والآخرة.

وآخر الكلمات المتعلقة بغريزة حبِّ الاستطلاع التي استخدمها القرآن الكريم في حثه على التأمل والتفكر هي كلمة (الفقه).

والفقه هنا مقصود به المفهوم القرآني وليس بالمفهوم الاصطلاحي عند الفقهاء.

---

(١) النحل: ٧٨.
(٢) الأعراف: ١٧٩.
(٣) الملك: ١٠ – ١١.

والمفهوم القرآني للكلمة يتعلق بالفهم لآيات الله في الآفاق والأنفس، والتأمل في سنن الله تعالى التي بثها في الكون للوصول إلى أسرارها، ليهتدي الإنسان إلى معرفة ربه ويقف على عظيم قدرته، ويسخِّر ما يقدر عليه من المظاهر الكونية لمنافعه العاجلة في هذه الدنيا.

وقد تكررت هذه الكلمة كثيراً في القرآن الكريم، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾[1].

وقال أيضا: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾[2].

ومن خلال عرضنا السلبق لأساليب القرآن في استخدام المفردات المتعلقة بغريزة حبّ الاستطلاع والتي ذكرها ليوجه الإنسان إلى حسن استغلالها وفق منهج حدّده القرآن الكريم يجعل الاستطلاع مشروعاً، وبذلك يتبين لنا صلة تلك المفردات بموضوع هذا البحث والله المستعان.

---

(١) الأنعام: ٩٨.

(٢) الأنعام: ٦٥.

المبحث الرابع
المجالات المشروعة لغريزة حبِّ الاستطلاع في القرآن الكريم

بعد أن سردنا في المبحث السابق الآيات المتعلقة بغريزة حبِّ الاستطلاع، فإننا سنقوم بشرحها وبيانها، كما ذكرها المفسرون. وإذا تأملنا آيات القرآن الكريم في هذا الجانب أمكننا حصر مجالات غريزة حبّ الاستطلاع في جانبين اثنين:

- الجانب الأول: الآيات الكونية المشاهدة.
- الجانب الثاني: الغيبيات المدركة بوساطة الوحي[١].

١ – أما الجانب الأول المتعلق بالآيات الكونية التي بثها الله تعالى في الآفاق: من سماء وأرض وليل ونهار وشمس وقمر وجماد ومطر ونبات وحيوان وإنسان، فإنها مجال فسيح لعقل الإنسان، يفكر فيها ويدرسها ويتأملها ويستنتج من خلالها الأدلة والبراهين على وجود الله وعظمته.

وهذه الآيات الكونية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة محاور رئيسة كما ذكرها القرآن الكريم.

أ – الآيات الكونية المحيطة بالإنسان.

ب – الآيات الكونية المتعلقة بتاريخ الأمم السابقة.

ج – الآيات الكونية المتعلقة بالنفس الإنسانية.

أ – أما المحور الأول من هذه الآيات والذي يدور حول ما يحيط بهذا الإنسان في حاضره من كائنات يعيش معها في عالمه المحسوس المشاهد: فقد وجَّه القرآن الكريم نظرالإنسان إلى تلك الآيات، وحثَّه على استطلاعها في آيات

---

(١) توفِّرغريزة حبِّ الاستطلاع دافعاً قويًّا للإنسان؛ للبحث عن المغيبات مثل: مسألة الموت والبعث وغيرهما من الأمور التي حيّرت عقول الفلاسفة عبر الزمن.

كثيرة يضيق المقام على إحصائها ومن تلك الآيات:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[1].

فقد أشارت الآية بشكل واضح إلى ضرورة النظر في الأسباب التي تنظم تلك المظاهر الكونية المذكورة في الآية الكريمة.[2]

ويقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾[3].

فقد بينت الآية الكريمة أن أصحاب العقول هم الذين ينظرون في هذه الدقائق العظيمة

ويقول تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[4]

ويقول: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[5]

ويلفت القرآن نظر الإنسان إلى السماء وما يدور في أفلاكها من شمس

---

(١) البقرة: ١٦٤.
(٢) انظر تفسير المراغي ٢/٣٦.
(٣) الروم: ٢٤.
(٤) الرعد الآية ٤، وينظر تفسير المراغي ٥/٦٣، والتفسير الواضح للشيخ حجازي ١٣/٢٩.
(٥) النحل - الآيتان ٦٦- ٦٧.

وقمر ونجوم فيقول: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢﴾[1]

لقد فتح القرآن الكريم صفحة الكون أمام غريزة الإنسان في حبه للاستطلاع ووجهها إلى أهدافها المشروعة حيث قال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦﴾[2]

إن غريزة حبِّ الاستطلاع تدفع الإنسان للبحث عن السرِّ في نشأة هذا الكون[3]، وحتى لا يُتعب الإنسان عقله في ذلك التفكير ويبقى الأمر كذلك سراً، فإننا نجد القرآن الكريم قد أشبع لهذا الإنسان غريزته تلك عندما قدَّم تفصيلاً واضحاً لقصة الخلق الأول، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾[4] كما يخبرنا القرآن تارة أخرى بكثير من التفاصيل عن خلق الكون فيقول: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ

---

(١) النحل - الآية ١٢.

(٢) ق - الآية ٦.

(٣) سبق في التمهيد بيان صلة هذا المبحث بغريزة حب الاستطلاع، وكذلك صلة المبحث التالي بها، وأن دورها ينحصر في توفير الدّافع للبحث والتفكير فيما خفي عن الإنسان، ولكنّ نتائج تلك البحوث وتوجيهها للخير أو الشّر يخضع لاعتبارات أخرى. ومن هنا قد تكون هذه الغريزة إيجابية إن وافقت منهج التهذيب القرآني، ووظفت نتائجها في الخير، وقد تكون سلبية في أمور أخرى، كما إذا تجاوزت حدودها، ووظفت نتائجها في الشّر.

(٤) الأنبياء – الآيات ٣٠ – ٣٣.

وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾[1]

ثم يبين سبحانه أن البداية والنهاية لهذا الكون متشابهتان فيقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[2]

وهكذا ترقَّى القرآن الكريم بهذا الإنسان، ليشغله في بحث دائم ومتواصل مع الكائنات حوله، ليستطلعها ويكتشف روعة نظامها ودقة إحكامها التي تدلّ على الخالق العظيم. فالكون كله مسرح للفكر الإنساني بما فيه ومن فيه.

ب – المحور الثاني: الآيات الكونية المتعلقة بتاريخ الأمم*.

فتح القرآن الكريم الباب واسعا أمام الإنسان، ليستطلع أحوال الأمم السابقة عبر ماضيها السحيق، ليستنتج من قصصها العظة والعبرة، وكأن القرآن الكريم يقدّم للبشرية في آخر مراحلها خبرات الأمم السابقة وتجاربها وعاقبة أمرها، وهذا ما نجده متكررا في القرآن بشكل مطول لافت للأنظار، وسأكتفي بعرض بعض النماذج من ذلك التاريخ.

ومن الآيات التي حثّت على ذلك الاستطلاع قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾[3] (فهذا

---

(١) فصلت الآيات ٩ – ١٢.

(٢) الأنبياء: الآية ١٠٤.

(*) علم التاريخ المتعلق بالأمم السلبقة وثيق الصّلة بغريزة حبّ الاستطلاع؛ لإنها توفّر حافزا قويّا للبحث والتنقيب في أحوال الأمم السابقة وآثارها، ويعبّر عن ذلك الدافع برغبة الإنسان الشديدة في رؤية الآثار ودراستها. وهذا أمر مشاهد.

(٣) الروم الآية ٩.

توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم).[١]

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾[٢]

والمقصود من هذه الحكاية: زجر الكفار، فإنه تعالى بيّن أنه أهلكهم بما كفروا وكذّبوا الرسل مع الذي اختصّوا به من هذه الوجوه، فلأن تكونوا خائفين من مثل ذلك أيها الكفار إذا أقمتم على كفركم مع ضعفكم كان أولى.)[٣]

وقال أيضا: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾[٤]

(والمراد بالرؤية العلم والتذكير... وهذه الواقعة دالّة على قدرة الصانع وعلى حكمته)[٥]

وهكذا شغل تاريخ الأمم حيِّزا كبيراً في القرآن الكريم ليطّلع عليه اللاحقون لتلك الأمم وينتفعوا منه سواء كان ذلك التاريخ متعلقاً بقصص الأنبياء مع أقوامهم أو بغيرهم مما ورد ذكرهم في قصص القرآن الكريم، وهذه الفائدة المقصودة من دراسة قصص الأمم السابقة بينتها الآية الكريمة حيث قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[٦]

---

(١) تفسير الألوسي:٢١/٢٣، وينظر تفسير ابن عطية ١٢/٢٤٦.
(٢) الفجر الآيات ٦- ١٤.
(٣) تفسير الرازي:ج٣١/ ص١٦٧، وينظر الكشاف للزمخشري ٤/٢٠٨.
(٤) سورة الفيل.
(٥) تفسير الرازي: ج٣١ ص٩٧، وينظر الكشاف ٤/٢٣٣-٢٣٤.
(٦) هود – الآية ١٢٠، وينظر زاد المسير ٤/١٧٣.

إن القرآن لم يكتف بحفز الإنسان لاستطلاع قصصه المتعلق بالأمم السابقة فقط، بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما طالبه بتتبع آثار تلك الأمم حيث قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[1]

ومن هنا وجدنا الرسول صلى الله عليه وسلّم حريصاً على سماع قصص الأنبياء السابقين، بل إن غريزة حبِّ الاستطلاع لديه جعلته يتمنّى أن يعرف المزيد من قصص السابقين، كما حدث في قصة موسى عليه السلام مع الخضر والتي وردت في سورة الكهف، فقد حملت تلك القصة الكثير من العجائب والغرائب المتعلقة بالحكمة الإلهية على يد الصفوة من خلقه، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "رحمة الله علينا وعلى موسى لو كان صبر لقص الله علينا من خبره، ولكن قال: ﴿**إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدنّي عذرا**﴾"[2]

وفي رواية لمسلم قال عليه الصلاة والسلام بعد أن ذكر قصة موسى مع الخضر ضمن حديثه الطويل: "يرحم الله موسى، لوددت أنه كان صبر حتّى يقص عّلينا من أخبارهما"[3]

ولما ذكر الله تعالى تبّعاً في القرآن وعزيراً وذا القرنين لم يعرف النبي صلّى الله عليه وسلّم حينذاك هل هؤلاء أنبياء أم غير أنبياء فكان يستطلع دائما الى معرفة الخبر؛ لأن الله ذكر هؤلاء مجردين عن لقب النبوة.

أما ذو القرنين فدلّ القرآن على أنه كان صالحا لم يقرن بالنبوة، فقال تعالى

---

(١) الحج – الآية ٤٦، ينظر تفسير ابن عطية ٢٠٨/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٣٩٥/٥ رقم ٣٣٦٢ (فتح) في كتاب الأنبياء، وعبد الرزاق ١٠٧/٥ في الحج رقم ٩١٠٧، وأحمد ٥ /١٢١ – ١٢٢ رقم ٢١٠٢٥، وابن حبان ٢٥٤ رقم ١٠٢٨ (موارد الظمآن).

(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٨٥٠ رقم ٢٣٨٠ كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عليه السلام.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[1] إلى أن قال: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾[2]

وأما تبّع فلم يذكره القرآن بشيء سوى أنه ذمّ قومه فقال تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾[3]

وقال أيضا: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾[4]

وقال عن عزير: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾[5]

ففي تلك الأخبار لم تحدّد صفات المذكورين، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلّم في بداية الأمر – أي بعد ذكرهم بالقرآن - يقول: " لا أدري أتبّع كان لعيناً أم لا؟ وما أدري عزير كان نبياً أم لا؟[6] وفي رواية أخرى " وما

---

(١) الكهف – ٨٣ – ٨٥.
(٢) الكهف – ٨٧ – ٨٨، وينظر الدر المصون ٧/ ٥٤٠-٥٤٢.
(٣) الدخان – ٣٧.
(٤) ق – ١٢ – ١٤، وينظر الكشاف ٤/ ٢٠-٢١.
(٥) البقرة - ٢٥٩، وينظر تفسير أبي السعود ٢/ ٢٥٣.
(٦) أخرجه أبو داود ٤٦٧٤ في كتاب السنة – باب في التخيير بين الأنبياء عليهم السلام وانظر – أيضاً – تفسير البغوي ٦ /١٤٨، والذي بهامشه تفسير الخازن، والبداية والنهاية ٢ / ١٠٣.

أدري أتبّع كان نبياً أم لا؟ وما ادري أذو القرنين كان نبياً أم لا؟[1] "

هذا مع العلم أن ذلك الاستطلاع عن الأمم السابقة لا يضرّ الجهل بحالها، ولكن لاشكّ أن العلم بتاريخ الأمم علم نافع، نضع أيدينا من خلال أخبارهم على مواعظ أو ما ينفعنا في الحياة الدنيا في اختراع أو اكتشاف، وهذا باب واسع ومفتوح، حيث جاءت الأوامر الإلهية بالسير في الأرض والنظر في أخبار السابقين لنتدبر ونتعظ أو نقتدي ونتعلّم، وليس من العيب أن يتعلّم اللاحق من السابق ويبتديء من حيث انتهى، أو يتلافى أخطاء وقع فيها، إلى غير ذلك من الفوائد.

ج – النفس الإنسانية:

وأما المحور الثاني الذي تشمله الآيات الكونية: فهو النفس الإنسانية بأبعادها الكثيرة المتعددة والتي استوفاها القرآن عرضاً وتحليلاً، لافتاً أنظارالبشر إلى حقيقة هذه النفس بجوانبها المادية الخلقية الظاهرة وأعماقها النفسية الخفية، وهو وإن كان للاتعاظ والاعتبار. لكن لا يمنع كونه من باب إشباع غريزة حبِّ الاستطلاع. والملاحظ أن القرآن الكريم قد أفاض في ذكره لخلق الإنسان من حيث مادته الأولى وأطوار تخليقه جنيناً في بطن أمه حتى ولادته في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾[2]

ويفصّل لنا في آيات أخرى أطوار تخليق الإنسان ليطّلع الإنسان على عظمة خلق الله تعالى فيقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ١٤ و٤٥٠ وصححه، واقرّه الذهبي والبخاري في التاريخ الكبير ١/ ١٥٣.
ومرة أخرى نقول: إن هذه الأخبار وإن كانت تحتمل غير معنى غريزة حب الاستطلاع إلا أنه ليس هناك ما يمنع احتمال المعنى المراد.

(٢) الطارق: ٥ – ٨ وينظر الكشاف ٤/ ٢٠٢.

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾[1]

بل إن القرآن الكريم أطلع الإنسان على كثير من خفايا النفس البشرية ليحفز همته، وليداوم على استطلاعه، مترقباً معرفة المزيد عن هذه النفس، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[2]

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: "إن المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار وآيات الأضواء.. والظلمات.." وقوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكوّن الأجنة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كما قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[3] يعني نريهم من هذه الدلائل مرة بعد أخرى إلى أن تزول الشبهات عن قلوبهم، ويحصل فيها الجزم والقطع بوجود الإله القادر الحكيم العليم.. ثمّ يقول: "إن هذه الأشياء لانهاية لها، فهو تعالى يطلعهم على تلك العجائب زماناً فزماناً"[4]

وما أروع هذه العبارة الأخيرة للإمام الرازي والتي تكشف لنا عن بعد نظر أؤلئك الأئمة الأعلام بعد أن تكشفت لنا آيات الإعجاز العلمي في هذه الفترة في خلق الإنسان؛ حيث أظهرت لنا الوسائل العلمية المتقدمة مراحل خلق الإنسان عبر أجهزة التلفاز وغيرها، وهكذا يطلع الله الإنسان في كل زمان على وجه من وجوه الإعجاز في خلقه، والتي تدلّ على وجود الله وعظمته.

---

(١) المؤمنون: ١٢ – ١٦، وينظر التحريروالتنوير٩/ ٢٢.
(٢) فصّلت – ٥٣.
(٣) الذاريات – ٢١.
(٤) التفسير الكبير للرازي ٢٧ / ١٣٨، وانظر أيضاً تفسير الطبري ١١/ ١٢٤.

فالنفس الإنسانية عالَم واسعٌ يشغل غريزة هذا الإنسان في حبه للاستطلاع، والإمام الغزالي أشار إلى أوجه الإعجاز في خلق الإنسان وعدَّ ذلك الإعجاز من أعظم الأدلة على عظمة الله تعالى، فيقول: " فمن آياته: الإنسان المخلوق من النطفة، وأقرب شيء إليك نفسك، وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الأعمار في الوقوف على عشر عشيره، وأنت غافل عنه، فيامن هو غافل عن نفسه، وجاهل بها، كيف تطمع في معرفة غيرك؟ وقد أمرك الله بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز، فقال: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1] وذكر أنّك مخلوق من نطفة قذرة فقال: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾[2]

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[3]

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾[4]

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾﴾[5]

وقال أيضاً: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾[6]

فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكير في معناه، فانظر – الآن – الى النطفة – وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة فسدت وأنتنت – كيف أخرجها رب الأرباب من الصلب والترائب! وكيف جمع بين

---

(١) الذاريات – ٢١.
(٢) عبس – ١٧ – ٢٢.
(٣) الروم – ٢٠.
(٤) القيامة – ٣٧.
(٥) المرسلات – ٢٠ – ٢٢.
(٦) الإنسان – ٢.

الذكر والأنثى وألقى الألفة والمحبة في قلوبهم! وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة إلى الاجتماع، وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع.....[١]

وجعل القرآن الكريم مبدأ الزوجية في خلق الإنسان مجالاً لاستطلاعه وتفكيره، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[٢] (ففي خلق الأزواج آيات، ويحتمل أن يقال في جعل المودة بينهم آيات، فأما الأول: فلا بدَّ له من فكر، لأن خلق الإنسان من الوالدين يدلّ على كمال قدرة الله ونفوذ الإرادة وشمول العلم لمن تفكّر، وأما الثاني: فكذلك، لأن الإنسان يجد بين القرينين من التراحم ما لا يجده بين ذوي الأرحام، وليس بمجرّد الشهوة فإنها قد تنتفي وتبقى الرحمة، ولا يعلم ذلك إلا بفكر...)[٣]

كما لفت القرآن نظرالإنسان إلى أوجه الاختلاف بين البشر في ألسنتهم وألوانهم وجعل ذلك مادة للدراسة والتأمل، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾[٤]، (فقد نبّه تعالى على خلق السماوات والأرض واختلاف اللغات والألوان وهذا البياض والسواد، ويحتمل أن يريد ضروب بني آدم وأنواعهم، فتعم شخوص البشر الذين يختلفون بالألوان والألسنة (والعالمين): هم أهل الانتفاع بالنظر فيها، فهم أهل العلم)[٥]

ومن الجوانب الخفية التي أرشد القرآن الإنسان إليها وحثّه على تأملها واستطلاعها بعمق: ظاهرة النوم، وارتباطها بقضية الموت، وهذا التوجّه يأتي متناسقا مع شعورالإنسان بدافع فطري لمعرفة ذلك. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ

(١) إحياء علوم الدين مع شرحه (إتحاف السادة المتقين ١٣ / ٣٥٠ – ٣٥٣ بتصرف).
(٢) الروم – ٢١.
(٣) تفسير الرازي: ج٢٥ ص١١١ بتصرف.
(٤) الروم: ٢٢.
(٥) تفسير ابن عطية ج١١ ص٤٤١-٤٤٢، وينظر زاد المسير ٦ / ٢٩٥.

عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[1]

فقد أشارت الآية إلى (أن في توفي الأنفس – مائتة ونائمة – وإمساكها وإرسالها إلى أجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون)[2].

وتحدّث القرآن عن النفس الإنسانية وطرق تزكيتها، وهذا باب عريض وميدان فسيح لعلماء النفس، يستطلعون أغوار هذه النفس من خلال عقولهم النيّرة وبحوثهم المفيدة التي ترقى بهذا الإنسان وتوصله إلى برِّ الأمان.

الجانب الثاني: الغيبيات المدركة بوساطة الوحي:

تنقسم الغيبيات حسب إمكانات استطلاعها وعدمه إلى قسمين اثنين:

١ – غيبيات يمكن استطلاعها بوساطة الوحي.

٢ – غيبيات لا يمكن استطلاعها فلا سبيل إلى معرفتها.

أما القسم الثاني: فإنه يدخل في مجال الاستطلاع الذي نهى عنه القرآن، والذي سأتحدث عنه في المجالات الممنوعة أمام استطلاع الإنسان.

وأما القسم الأول وهو الأمور الغيبية التي لا تدخل في عالم الإنسان المشاهد الذي يستشرف لاستطلاعه ومعرفته من خلال عقله، ولكن برغم ذلك فقد أطلع الله تعالى عباده على بعض الغيبيات من خلال القرآن الكريم، ومن المعروف أن عالم الغيب بالنسبة للإنسان يشمل حقيقة الموت وسكراته وما يعقبه من تقلبات تمر على الإنسان بعد موته.

ونفس الإنسان توَّاقةٌ – جداً – لمعرفة ذلك العالم المجهول الذي يدخله الإنسان بعد موته، فجاء القرآن الكريم ليتحدث بالتفصيل عن الموت وسكراته،

---

(١) الزمر: ٤٢.

(٢) تفسير الكشاف ج٣ ص٤٠٠، وينظر زاد المسير ٧/ ١٨٥.

والبرزخ وطبيعته والبعث وكيفيته، والحشر ورهبته، والحساب والجزاء ونشر الصحف والجنة ونعيمها والنار وعذابها، بل جعل تلك المدركات من صلب العقيدة التي يطالب الإسلام بها هذا الإنسان ليحسِّن من أدائه لأعماله في هذه الحياة، فهو لم يخلق عبثا.

كما تحدَّث القرآن عن عوالم خفية عن الإنسان مثل: عالم الجن، وعالم الملائكة؛ ليشعر هذا الإنسان، بعظمة خلق الله تعالى، وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً عن حملة العرش وكان حبُّ الاستطلاع يدعوه إلى أن يعرف عنهم شيئا، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل جبريل فيجيبه مخبراً عن صفاتهم وأحوالهم، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أذن لي أن أحدِّث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام"(١)

وهكذا أسعف الوحي غريزة حبِّ الاستطلاع لدى الإنسان من خلال ما قدّمه في هذا الجانب من حقائق غيبية، لا مجال لمعرفتها إلا من خلال الوحي.

ومن هنا أفاض القرآن الكريم في تصوير تلك الحقائق الغيبية؛ مثل نعيم الجنّة الذي تكرر كثيراً كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾(٢)

---

(١) أخرجه أبو داود برقم ٤٧٢٧ في كتاب السنّة، باب الجهمية، وأخرجه – أيضاً – أبو نعيم في حلية الأولياء ١٥٨/٣، والخطيب في تاريخ بغداد ١٠ / ١٩٥، وهو حسن السلسلة الصحيحة رقم ١٥١.

(٢) الواقعة – ١٠ – ٢٤، وينظر الكشاف ٥٧/٤.

كما تحدّث القرآن عن النّار وعذابها، وذلك في عشرات الآيات التي صوّرت ذلك العذاب قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾[1] (وإنما جعل لهم القطران، لأنه يبالغ في اشتعال النار في الجلود، ولو أراد الله تعالى المبالغة في إحراقهم بغير ذلك لقدر، ولكنه حذَّرهم ما يعرفون حقيقته)[2].

(١) ابراهيم: ٤٩-٥٠.

(٢) زاد المسير: ج٤ ص٣٧٧.

المبحث الخامس
الاستطلاع المشروع وأهدافه

بعد بيان مجالات الاستطلاع المشروعة، لا بد من ربط تلك المجالات مع أهدافها ولدى استقرائها وتمحيصها، يمكن حصرها في الأمور التالية.

١ – ترسيخ أركان الإيمان مثل الإيمان بوجود الله ووحدانيته وكمال قدرته، وهذا باب واسع، فمعظم الآيات التي حثت على الاستطلاع قرنته بهدفه الكبير، وهذا ما تشير اليه الآيات التالية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[١] (فأشعرت الآية أن طريق معرفته تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه العبادة: النظر في صنعه)[٢]

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ۚ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾[٣] (أي إذا علمتم ذلك فأورني ﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذين مِنْ دُونه﴾ مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به العبودية)[٤]

ويقول تعالى أيضاً: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ

---

(١) البقرة: ٢١-٢٢.
(٢) انظر الألوسي: ١/١٩١، وينظر الدر المصون ١/١٨٨-١٨٩.
(٣) لقمان: ١٠-١١.
(٤) تفسير روح المعاني للألوسي ٢١-٨٢، وينظر تفسير البغوي ٣/٤٩٠.

بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾[1]

وقدم القرآن للمرتابين بالبعث بعد الموت أدلةً دامغةً على تلك الحقيقة وحثَّهم على استطلاعها ليستنتجوا منها تلك الأدلة، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾[2] فهذه آيات جاءت تبصرة وتذكرة لكل عبد منيب، راجع إلى ربه، مفكّر في بدائع خلقه.[3]

٢ – تسخير مظاهر الكون لعزة الأمة وتقدمها

فالقرآن الكريم – في ذكره لكثير من الكائنات التي سخرها الخالق العظيم لهذا الإنسان- يوجه نظرالإنسان للانتفاع بتلك المخلوقات وتسخيرها في منافعه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾[4] فقد ذكرت الآية الكريمة الحديد، ووضحت وجهاً من وجوه الانتفاع به، وهو أنّه

(١) غافر: ٦٤-٦٦، وينظر زاد المسير ٧/٢٣٣.
(٢) ق: ٦-١١.
(٣) تفسير الكشاف: ٤/١٩.
(٤) الحديد: ٢٥.

مصدر للصناعات الحربية فمنه السيوف والرماح والدروع والسفن البحرية – وما أشبه ذلك – التي تجعل الأمة الإسلامية في قوة ومنعة، ثمّ خُتمت الآية باسمين من أسماء الله يدلان على العزة والقوة، وفي ذلك إرشاد لأولي الألباب؛ ليحصلوا أسباب العزة والغلبة على أعدائهم في الأرض.[١]

وذكر القرآن الكريم كثيراً من النعم التي خلقها الله لعباده في الأرض ووجههم إلى حسن الانتفاع بها كما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١﴾[٢] (أيّ إرادة أن تنظروا فيما أسبغ عليكم من النعم فتعرفوا حقّ منعمها، فتؤمنوا به تعالى وحده، وتذروا ما كنتم به تشركون)[٣]

وتحدّث القرآن عن نبي الله داود، وعن صناعته للدروع، وعن ذي القرنين وصهره للمعادن، وتشييده للسدود المنيعة، وعن سليمان وتسخير الريح له، كلّ ذلك يعتبر ترجمة عملية لكيفية تسخير مظاهرالكون وخاماته لتكون في مصلحة الإنسان.

٣ – العظة والعبرة

ذكر القرآن الكريم الكثير من قصص الأمم السابقة، مبيناً تجاربها ومصائرها، لافتاً الأنظار للاطلاع على تلك الحضارات، وأخذ العظة والعبرة، وهذا أمرٌ مطّردٌ في سائر قصص الأنبياء المذكورة في القرآن الكريم، قال

---

(١) تفسير المراغي ٩/١٨٣، وينظر الكشاف ٤/١٦٨.
(٢) النحل: ٨٠-٨١.
(٣) تفسير روح المعاني للألوسي: ١٤/٢٠٥، وينظر الدر المصون ٧/٢٧٣-٢٧٥.

تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[1] (أي: عظة لذوي العقول السليمة، وذلك من وجهين.

أحدهما: ما جرى ليوسف من إعزازه وتمليكه بعد استعباده، فإن من فعل ذلك به قادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وسلم وتعلية كلمته.

والثاني: أن من تفكر علم أن محمداً صلى الله عليه وسلم، مع كونه أمياً، لم يأت بهذه القصة على موافقة ما في التوراة من قبل نفسه، فاستدل بذلك على صحة نبوته.)[2]

وبعد هذا كله تتضح الفائدة من هذا التهذيب. حيث إن النفس العاقلة إذا عرفت شرف ذاتها وأحست بقربها من الله عز وجل أحسنت خلافة الله في أرضه، وأحسنت في تربية هذه النفس وسياستها، ونهضت بالقوة التي أعطاها الله تعالى إلى مكانها من كرامة الله تعالى ومنزلتها من العلو والشرف، ولم تخضع للبهيمية الكامنة فيها، بل تقوم النفس وتقودها إلى الأدب مع الله ومع الناس[3]

---

(١) يوسف: ١١١.

(٢) زاد المسير: ٤/٢٩٧، وينظر زاد المسير ٤/٢٩٧.

(٣) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ٤٥ (ط مطبعة الترقي بمصر سنة ١٣٢٧ هـ).

المبحث السادس
موانع توجيه الاستطلاع إلى وجهاته السليمة

بينا أن الاستطلاع ترتبط به أهداف عظيمة، وأهمها: الوصول إلى الحق، سواء أكان متعلقا بوجود الله ووحدانيته، أم بالأدلة على كمال قدرته، أو تسخير مظاهر الكون لتكون مجندة لخدمة الإنسان، ولذلك ذمَّ القرآن الكريم أولئك الذين يضعون عقبات أمام عقولهم لتحول دون استطلاعهم الهادف للوصول إلى الحق. وأهم تلك الجوانب ما يلي:

١ – الغفلة: اعتبر القرآن الكريم الغفلة من شرِّ الأمراض التي تصرف الإنسان عن الوصول إلى الحق، هذه الغفلة التي تلغي كل وسائل المعرفة التي زود بها الإنسان من سمع وبصر وفؤاد، لذلك وصف القرآن الكريم الكفار الذين عطلوا هذه الوسائل بأنهم كالأنعام، فقال تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[1] (أي لهم قلوب ليس من شأنها أن يفهموا بها شيئاً مما شأنه أن يفهم، فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولاً أولياً، وكذا الكلام في قوله جل وعلا: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ فيقال: المراد لا يبصرون بها شيئاً من المبصرات، فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجاً أولياً... والمراد بالإبصار والسماع المنفيين: ما يختص بالعقلاء من الإدراك على ما هو وظيفة الثقلين... ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام؛ لأنها تدرك ما من شأنها أن تدركه من المنافع والمضار، فتجهد في جلبها وسلبها غاية ما يمكنها، وهؤلاء ليسوا كذلك، حيث لم يميزوا بين المنافع والمضار، بل يعكسون الأمر، فيتركون النعيم، ويقدمون على العذاب الأليم..)[2]

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) روح المعاني للألوسي ١١٩-١٢٠، وينظر تفسير أبي السعود ٣/ ٢٩٠.

٢ – الهوى: دعا القرآن الكريم الإنسان لاستخدام العقلية العلمية في دراسته لمظاهر الكون، للوصول إلى الحق، وعاب على الكفار الذين جعلوا الهوى قائداً لهم وليس العقل، بل إن الهوى يعتبر أكبر صارف عن الحق، وأخطر آفة معطلة لوسائل المعرفة، وهذا المعنى هو الذي أشارت إليه الآية الكريمة ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[١] فهذا تعجب من حال من ترك متابعة الهدى مطاوعة للهوى، وقال تعالى أيضا: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[٢] اي من ترك متابعة الهدى إلى متابعة الهوى فكانه يعبده إذ كل ما يعبده الإنسان بمحبته وطاعته فهو الٰهه ولو كان حجراً.

٣ – التقليد الأعمى للآباء والأسلاف.

شنَّ القرآن الكريم حملة شديدة على الجمود والتقليد بكل صوره، ودعا الناس إلى التعقل والتفكير واستطلاع الحق فيما يأخذون عن آبائهم وأسلافهم من عقائد وغيرها، فإذا كانت مجانبة للعقل والحق لزم طرحها، مهما كانت معظمة عند الآباء والأسلاف؛ لذلك عاب القرآن على أولئك المقلدين الذين أغلقوا عقولهم، مكتفين بما فكَّر به الأسلاف، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾[٣] يقول الله تعالى لهؤلاء الكفار: (فكيف أيها الناس تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم؟ فتتركون ما يأمركم به ربكم؟ وآباؤكم لايعقلون من أمرالله شيئاً، ولاهم

---

(١) الجاثية: ٢٣.
(٢) الفرقان:٤٣-٤٤، وينظر التحرير والتنوير ج ٩ ص ٣٥-٣٧.
(٣) البقرة: ١٧٠-١٧١.

مصيبون حقاً، ولا مدركون رشداً وإنما يتبع المتبع ذا المعرفة بالشيء المستعمل له في نفسه، فأما الجاهل فلا يتبعه فيما هو به جاهل إلا من لاعقل له ولا تمييز.)[١].

٤ – التبعية للسادة والكبراء.

وإذا كان القرآن الكريم ذمَّ تقليد الآباء والأجداد، فإنه ذم التبعية العمياء للسادة والكبراء وأصحاب السلطان، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾[٢]

وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾﴾[٣] وهذا (تجهيل لمتبعيه؛ حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لايخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل)[٤]

فإذا أزيلت هذه الموانع وجدت الفرصة الطيبة لكي يصبح الإنسان صحيح العقل، صحيح الجسم، صحيح الروح والنفس، ثم تكون له بعد ذلك فرصة أخرى، ليحافظ على إرساء هذه الأسس في المجتمع، ليكون مجتمعاً خيِّراً، تنمو فيه الفضائل، وتندثر فيه الرذائل[٥].

---

(١) تفسير الطبري: ٢/٧٩، وينظر تفسير أبي السعود ١/١٨٨.
(٢) هود: ٥٩، وينظر زاد المسير ٤/١٢٠.
(٣) هود: ٩٦ – ٩٧.
(٤) تفسير الكشاف: ٢/٢٩١، وينظر زاد المسير ٤/١٥٥.
(٥) التربية الأخلاقية الإسلامية للدكتور مقداد يالجن ص ٥٤.

المبحث السابع
مجالات الاستطلاع الممنوع كما ذكرها القرآن الكريم

تحدثنا فيما مضى عن الاستطلاع المباح المشروع، وحددنا مجالاته الواسعة التي فتحها القرآن أمام هذه الغريزة، ليستطلع الإنسان ما يمكنه استطلاعه من مظاهر الكون، للوصول إلى تلك الأهداف النبيلة التي أشرنا إليها سابقاً.

ولكن غريزة حبِّ الاستطلاع لها حدود تقف عندها، فلا يجوز تخطيها سواء أكانت متعلقة بالله تعالى أم بعباده، أوإذا كان الاستطلاع عديم الفائدة، أو فيه مضيعة للوقت والجهد، أو يترتب عليه فساد في الأرض.

وهنا يتجلى عنصر التهذيب لهذه الغريزة بصورة واضحة، حيث حدَّد القرآن الكريم عدة مجالات لهذه الغريزة لا يجوز الخوض فيها وأهم تلك المجالات:

١. التفكّر بحقيقة الذات الإلهية:

إن أعظم أنواع الغيب وأبعدها عن إدراك الإنسان العلم بحقيقة الذات الإلهية المقدسة. فلا يجوز التطلع إلى معرفة كنهها، ولكن يكتفي العقل بالتطلع إلى أدلة وجود الله ووحدانيته وصفاته العليا، أما التطلع إلى معرفة الذات فهذا أمر متعذِّر قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[1] (أي هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، وهم لا يعلمونه. وقيل: الكناية راجعة إلى الله لأن عباده لا يحيطون به علماً)[2].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[3]

---

(١) طه: ١١٠.
(٢) تفسير البغوي: ٣/٢٣٢.
(٣) الشورى: ١١.

(ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة، إلا من جهة موافقة اللفظ؛ وجلّت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة؛ كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفة قديمة)[١]

وقال أيضا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[٢]

وبهذا البيان أراح القرآن الكريم هذا الإنسان من معاناة البحث فيما لا يستطيعه، ودعاه إلى الاعتراف بعجز عقله وقصوره عن إدراك حقيقة الذات الإلهية، وإذا كان العقل غيرمؤهل لذلك البحث فلا يجوزأن يسترسل مع أفكاره، لأنها توصل إلى الضلال؛ ولذا حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من التفكير في ذات الله عزَّ وجلَّ؛ لأنه يفتح علينا باباً واسعاً للشيطان من خلال ما يلقيه من أسئلة ووسواس قد تفسد على المؤمن إيمانه، وذلك عندما قال: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتّى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته"[٣]

وفي رواية "لا يزال النّاس يتساءلون حتّى يقولوا: هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل: آمنت بالله"[٤]

وقد حاول سيدنا موسى عليه السلام أن يسترسل باستطلاعه إلى أكثر مما هو مقدوربالنسبة للإنسان، حيث كان يكلم ربه من وراء حجاب، وكان يتطلع لرؤية الله تعالى فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ

---

(١) تفسير القرطبي: ١٦/ ٩، وينظر زاد المسير ٧/ ٢٧٦.
(٢) الأنعام: ١٠٣، وينظر تفسير أبي السعود ٣/ ١٧٠.
(٣) أخرجه البخاري ٦ /٣٣٥ رقم٣٢٧٦ (فتح) كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ومسلم ١ / ١٢٠ رقم ١٣٤، كتاب الإيمان، باب الوسوسة، وهوعند أبي عوانة في مستدركه ١ / ٨٢، وابن أبي عاصم في السنّة ٢٩٣.
(٤) أخرجه مسلم ١/ ١١٩ رقم ١٣٣، كتاب الإيمان، باب الوسوسة، وأبوداود ٤٧٢١، وأبو نعيم في الحلية ١٠ /١٢٧، وابن عبد البر في التمهيد ٧/ ١٤٦.

﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾[1] وهذا تعليم عمليّ وتعريف لموسى بأنّه لا يستطيع أن يتحمّل أكثر مما هو محتمل، وأن تجليات الأنوار فوق قدرته، ولذلك ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾[2].

قال أبو حيان في البحر المحيط: أي تبت إليك من مسألة الرؤية في الدنيا ومن سؤالها قبل الاستئذان[3] وهذا – أيضا – ما قاله الرازي[4]. وهو صريح قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾[5] وما دام أنه لا تدركه الأبصار فلا يجوز أن نسترسل في هذه القضية، ويجب أن نسّلم بعجزنا عن إدراك ذاته تعالى، وما دمنا عاجزين فلنقف عند حدودنا.

٢- التفكّرفي حقيقة الروح:

ومن الأمور التي منعنا الله تعالى أن نخوض فيها أو نبحث عن حقيقتها: الروح قال الله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾[6] فالروح من أمرالله، لم يصل إلى حقيقتها أحد، وكلّ ما قاله العلماء والفلاسفة إنّما هي مجرد تكهنات، لا يؤيدها دليل ثابت تقوم به حجة، وقد أقفل النبي هذا الباب بجوابه لليهود حينما سألوه عن ماهية الروح، ولم يسألوه عن صفاتها مع العلم أنّه أعلم النّاس بصفاتها، فلمّا كان السؤال عن حقيقتها لم يجبهم إلا بما أمره الله به، وقد ظل العلماء متحيرين إلى اليوم في كنهها ومعرفة ماهيتها، وقد أطال الرازي رحمه الله في

---

(١) الأعراف: ١٤٣.
(٢) الأعراف: ١٤٣.
(٣) البحر المحيط: ٤/ ٣٨٥.
(٤) التفسير الكبير:١٤/ ٢٣٥.
(٥) الأنعام: ١٠٣.
(٦) الإسراء: ٨٥.

تفسيرها ونقل ذلك عن الفلاسفة، ولكنه في النهاية أبطل كلامهم؛ لأنهم لم يقدموا الجواب المطلوب[١].

وقال البقاعي ما مفاده: إن الله تحدى البشر بما لا يضرهم جهله، فكيف بما يضرهم جهله.[٢] أي انّهم لا ينبغي أن يشغلوا أنفسهم بما لا فائدة منه وعليهم شغل أنفسهم بما يضرّهم جهله، وبما سوف يسألون عنه يوم القيامة.

ومن هنا امتنع النبي صلّى الله عليه وسلّم عن الجواب، كما روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينا أنا مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في حرث – وهو متكيء على عسيب – إذ مرّ اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه. فقالوا: سلوه. فسألوه عن الروح، فأمسك النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فلم يرد عليهم شيئا، فعلمت أنّه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلمّا نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[٣]

وهناك رواية أخرى تقول: إن اليهود سألوا النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن أصحاب الكهف، وذي القرنين، وعن الروح، وقالوا فيما بينهم: إن لم يجبكم عن الروح فهو نبيّ، فقال: "أجيبكم غداً" ونسي أن يعلّق بالمشيئة، فتأخر الوحي أربعين يوماً، ثمّ نزلت قصة أصحاب الكهف، ونزلت قصة ذي القرنين، ونزل قول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[٤]

ففي هذه الرواية بيان واضح جداً لمسار هذه الغريزة – غريزة حبِّ

---

(١) تفسير الرازي: ٢١/٣٦.
(٢) نظم الدرر: ١١/ ٥٠٣.
(٣) أخرجه البخاري ٨/٤٠١ رقم ٤٧٢١ في تفسير سورة الإسراء، ومسلم ٤/٢١٥٢ رقم ٢٧٩٤ في صفات المنافقين، والترمذي في تفسير سورة الإسراء، وأحمد ١/ ٢٥٥ و٣٨٩.
(٤) تفسير الرازي ٨ / ١٤٢ في تفسير الآية نفسها، ونظم الدرر للبقاعي ١١/٥٠٣.

الاستطلاع حيث بين المباح منها والممنوع في رواية واحدة، وأن في الأوليين قصص الأنبياء. وهو استطلاع مسموح به إلى أبعد الحدود؛ لما فيه من العبرة والعظة، وأما قضية الروح: فالاستطلاع ممنوع؛ لأن كنهها سرّ من أسرار الله، فلا نعرف مم ركبت، ولا كيف خلقت، ولا نعرف كيف تنفخ في الجسد، ولا أين تكمن فيه، وهل هي باقية بقاء أبدياً أم فانية؟ وهل تخرج من الجسد عند الموت فقط؟ أم لها خروج متكرر عند النوم؟ وما دورها في رؤى صاحبها عندما يحدّثها وتحدّثه بما وقع أو سيقع؟ أو تحدّثه بما هو مطلوب، وإذا كانت الروايات في هذا الباب كثيرة وقد توصف بالخرافات فإن رواية صحيحة حدثت في عهد الصحابة رواها الحاكم في مستدركه عن عطاء الخراساني قال: قدمت المدينة فأتيت ابنة ثابت بن قيس بن شمّاس فذكرت قصة أبيها قالت: لما نزلت ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[1] الآية، وآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾[2] جلس أبي يبكي في بيته، ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن أمره؟ فقال إني امرؤ جهير الصوت، وأخاف أن يكون قد حبط عملي. فقال "بل تعيش حميداً وتموت شهيداً وتدخل الجنة بسلام". فلما كان يوم اليمامة كان مع خالد بن الوليد، فاستشهد، فرآه رجل من المسلمين في منامه، فقال له: إني لما قتلت انتزع درعي رجل من المسلمين، وخبأه في أقصى العسكر، وهو عنده، وقد أكبَّ على الدرع برمة – أي قدراً، أو حَلّةً أو، وعاء – وجعل على البرمة رحلاً - والرحل ما يوضع على الجمل – فأتِ الأمير فأخبره، وإيَّاك أن تقول: هذا حلم فتضيعه، وإذا أتيت المدينة فقل لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسام: إن عليّ من الدين كذا وكذا، وغلامي فلان من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول: هذا حلم فتضيعه، قال فأتاه فأخبره الخبر، فوجد الأمر على ما أخبره، وأتى أبا بكر فأخبره، فأنفذ وصيته، فلا نعلم أحداً بعد ما مات

(١) الحجرات: ٢.
(٢) لقمان: ١٨.

أنفذت وصيته غير ثابت بن قيس بن شماس.[١] فهذا يدل على أن الروح لا تفنى بعد الموت، بل تنتقل من حال إلى حال، ومع ذلك يبقى هذا الأمر سراً، لذلك قطع القرآن البحث في هذه المسألة، فجعلها من أمر الله، لا يبحث عنها، ولا عن كنهها.

٣- التفكّر في حقيقة مفاتح الغيب:

ومن أمور الغيب التي لا يمكن للإنسان أن يستطلعها: أمور الغيب الخمسة التي ذكرها الله في القرآن فقال: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ أَلَمْ تَرَوْا﴾[٢] ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلّم هذا المعنى فيقول: "خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله..." ثمّ تلا هذه الآية[٣]

وعند البخاري وغيره "مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر"[٤]

أ – أما علم الساعة فلا يدري أحد متى تقوم، فقد انفرد الله تعالى بعلمها، فلم يُطْلِعْ عليها ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ

---

(١) المستدرك ٣/ ٢٣٥ كتاب معرفة الصحابة، ترجمة ثابت بن قيس بن شمّاس وذكر هذه القصة – أيضاً – ابن القيّم في كتاب الروح ص ٨٨، كما أنها مذكورة في طبقات ابن سعد ٥/ ٢٠٦، والاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٢٠٠، وأسد الغابة ١/ ٢٢٩.

(٢) لقمان: ٣٤ وينظر تفسير البغوي ٣/ ٤٩٦.

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ١٢٩ برقم ١٧١٠٢ و٥/ ٣٥٣ رقم ٢٢٨٨٢.

(٤) أخرجه البخاري ٢/ ٥٢٤ رقم ١٠٣٩ في الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، وابن حبان أيضاً ١٧٥٤، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٣٢٤، والبغوي فّي شرح السنّة ٤/ ٤٢٢، وينظر من التفاسير: تفسير الطبري ٢١/ ٥٦، والبغوي٢/ ١٤٠، وابن كثير ٣/ ٢٦٠، والدر المنثور ٣/ ١٥ و٥/ ١٦٩ في تفسير الآية.

وَٱلۡأَرۡضُۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ ﴿١٨٧﴾﴾[1] فهذا (بيان لاستمرار خفائها إلى حين قيامها، وإقناط كلي عن إظهار أمرها بطريق الأخبار، والتجلية: الكشف والإظهار)[2]

فلا يجوز التطلع إلى معرفة، ذلك ولكن المجال فتح للحديث عن أشراطها، وذلك مذكور في كتب السنة.

ب – وأما نزول المطر بدقة وتفصيل من حيث بداية نزوله والمساحة التي سينزل عليها ومدة نزوله وقوته، كل ذلك لا يعلمه إلا الله جلّ وعلا، وقد تستطيع الأرصاد الجويّة أن تتوقع ما يحدث بناء على ظواهر طبيعية، مثل: قياس حرارة الجو، وسرعة الرياح، ونوع السحاب، ويستنتجون منها ما يمكن أن يحدث في المستقبل القريب، ولكن هذا لا يعدو أن يكون توقعاً، وكثيراً ما يحدث خلافه؛ بسبب تغيّر سرعة الرياح ودرجة الحرارة وتغيّر اتجاه السحاب... وغيرها.

ج – علم ما في الأرحام:

ومن مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله: علم ما في الأرحام، وهذا العلم عام وشامل، ويشمل جنس الجنين، وهل سينزل مكتملاً أو ينزل قبل اكتماله؟ وهل سيكون ضعيفاً أو قويًّا أو ذكيًّا أو غبياً؟ جميلاً أو قبيحاً، وماذا سيكون مستقبله؟ صالحاً أو طالحاً.

ومن هنا لا تبقى حجة لأولئك المشككين بالقرآن الكريم وأخباره، بعدما تقدّم الطب ووسائله واستطاع الأطباء معرفة نوع الجنين فإن هذا العلم لا يتناقض مع مفهوم الآية؛ لأن العلم الذي تشير إليه الآية هو علم شامل محيط، وهذا مختص بالله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ

---

(١) الأعراف: ١٨٧.

(٢) تفسير روح المعاني للألوسي: ١٣٣/٩، وينظر تفسير أبي السعود ٣٠٠/٣.

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ۝٨ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ۝٩﴾[1]

د – التفكر في المستقبل:

ومن مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله: ماذا يكسب الإنسان في غده، فقد يخطط الإنسان لما يصنعه في غده ويضع كلّ ترتيباته، ولكن كثيراً ما تجدُّ أحداث فتنقلب الأمور، وتتغيّر الأوضاع، فيمرض الصحيح، ويموت الحي، ولو أمكن سؤال الأموات عن حالهم عندما فاجأهم الموت لوجدنا معظمهم قد خططوا ورتبوا أعمالهم في الدنيا، ولكن لم يستطيعوا تنفيذها[2].

هـ – التطلع الى معرفة وقت الأجل:

والموت أمر من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله، فلا يعرف أحد متى يموت، وكيف يموت، وأين يموت. قال تعالى:ٱلۡأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ۝٦١﴾[3] أي أجل موتهم ومنتهى أعمارهم[4] وقد صدق القائل:

تزود من الدنيا فإنك لا تدري إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من عروس زينوها لزوجها وقد نسجت أكفانها ليلة القدر

وكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حينا من الدهر

وقد يقول الإنسان: إني ذاهب إلى بلدي لأموت وأدفن فيه، أو يقول: لن أذهب إلى المكان الفلاني لما فيه من الأخطار، ولكن الذي قدّره الله هو الذي

---

(١) الرعد: ٨-٩، وينظر زاد المسير ٤/٣٠٨

(٢) ولا نعني بهذا أن هذا معارض لجواز أن يخطط الإنسان لمستقبله فهو جائز، وإن كان لا يدري ماذا سيكون.

(٣) النحل: ٦١.

(٤) تفسير القرطبي: ١٠/١٢٠.

يحدث فقد يضطر الإنسان إلى سفر لا يرغبه؛ ليموت في ذلك المكان الذي قدّر له.

٣ – علم ما قبل التاريخ:

ومن المجالات التي أوصدها القرآن أمام غريزة حبِّ الاستطلاع: علم ما قبل التاريخ، وهذا العلم موكولٌ إلى الله تعالى وحده؛ لأن الإنسان لا يمتلك أثراً ولا خبراً يستطيع من خلاله معرفة ذلك الماضي السحيق الذي سمّاه القرآن علم القرون الأولى، وهذه الحقيقة القرآنية جاءت على لسان كليم الله تعالى عندما سأله فرعون عن ذلك العلم، كما قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾[(١)] (أي إن ذلك من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله تعالى، وإنما أنا عبد لا أعلم منها إلا ما علمنيه من الأمور المتعلقة بالرسالة والعلم بأحوال القرون، وما جرى عليهم على التفصيل، مما لا ملابسة فيه بمنصب الرسالة)[(٢)]

٤- الاستطلاع فيما لا يعني:

فقد وجّه القرآن الطاقة العقلية للإنسان إلى المجالات المفيدة التي تعود بالخير على الإنسان، فتبديد الوقت فيما لا يعني لا يقرّه الإسلام، فعلم الفلك ومراقبة النجوم أمر نستفيد منه في حساباتنا ومواصلاتنا، أما إذا زاد عن وظائفه المعلومة أصبح ذلك العلم مضيعةً للوقت، مجلبةً للمضرّة، وقد بيّن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حدود الاستطلاع في هذا الباب، فنهى عن النظر في النجوم[(٣)]. أي لغير فائدة، وتفسير هذا جاء عن سيدنا عمر رضي الله عنه

---

(١) طه: ٤٩-٥٢.

(٢) روح المعاني للألوسي: ١٦/٢٠٣.

(٣) أخرجه أبو حنيفة كما في جامع مسانده: ١/١٤١، والطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد: ٥/١١٦، وضعفه لأجل عقبة بن عبدالله الأصم، ثم نقل عن أحمد أنه وثقه، وكذا ابن عدي في الكامل: ٥/١٩١٦.

حيث فسّر ذلك بقوله: تعلّموا من أمر النجوم ما تهتدون به في برّكم وبحركم، ثمّ أمسكوا؛ فإنّها – والله – ما خلقت إلا زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلاماتٍ يهتدى بها[١].

ومن هنا كان التنجيم في الإسلام شعبة من السحر الحرام، وهو الذي يقوم على التنبؤ بالغيب بوساطة النجوم، وادعاء قراءة المستقبل من خلالها. فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنّه قال: " من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد "[٢].

قال الإمام الخطابي في (معالم السنن):" علم النجوم المنهي عنه هو: ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء الأمطار، وظهور الحر والبرد، وتغيّر الأسعار، وما كان في معانيها من الأمور، يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها، ويدّعون أن لها تأثيراً في السفليات، وأنها تتصرف على أحكامها، وتجري على قضايا موجباتها، وهذا منهم تحكّم على الغيب، وتعاط لعلم استأثر الله سبحانه به، لا يعلمه أحد سواه، فأما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس، كالذي يعرف به الزوال، ويعلم به جهة القبلة: فإنه غير داخل فيما نهى عنه؛ وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئا بأكثر من أن الظل ما دام متناقصا فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي، وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي. وهذا علم يصح دركه من جهة المشاهدة، إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروه بما اتخذوا له من الآلة التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومصادره.[٣]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٨/ ٤١٤ بسند حسن، وينظر الدر المنثور ٣/ ٣٤ ط إيران

(٢) رواه الإمام أحمد في مسند ابن عباس برقم (٢٠٠٠)، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح، وأبو داود في الطب (٣٩٠٥) وابن ماجه في الأدب (٣٧٢٦) وصححه النووي في رياض الصالحين، والذهبي في الكبائر، وانظر(فيض القدير) ٦/ ٨٠.

(٣) انظر معالم السنن للخطابي مع مختصر المنذري وتهذيب ابن القيّم في شرح الحديث (٣٧٥٤): ٥/ ٣٧٢ طبعة المكتبة الأثريّة المصوّرة عن طبعة السنّة المحمديّة بالقاهرة.

٥- كثرة السؤال[١]:

إن حبَّ الاستطلاع قد يحذو بالفكرالإنساني إلى حدود غيرمرغوب فيها، فوضع له الشرع مسارات يسير عليها؛ حتّى لا يضل ويستعمل حقه في غيرما وضع له، ولمّا كان التشريع الإسلاميّ جاء إلى أقوام لم يعتادوا التقيّد في الأفكار، حيث عبد الناس أربابا متفرّقين، وأغرقوا في انحلالهم، فأمرهم القرآن أن يكونوا ملتزمين بما يقال لهم، وبما يؤمرون، ونهاهم أن يكثروا الأسئلة استطلاعاً للحوادث، مثل بني إسرائيل؛ لأن هذا أسلم لهم، فقد يسألون عن أشياء لم تكن محرّمة فتحرم بسبب تلك الأسئلة، ويشدَّد عليهم في ذلك، كما قال تعالى: ﴿كِنَٰبِ مُّنِيرِ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٠٠ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ١٠١﴾[٢] (والمراد بها ما لا خير لهم فيه من نحو التكاليف الصعبة التي لا يطيقونها والأسرار الخفية التي قد يفتضحون بها، فكما أن السؤال عن الأمور الواقعة مستتبع لإبدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لإيجابها عليهم بطريق التشديد؛ لإساءتهم الأدب، وتركهم ما هو الأولى بهم من الاستسلام لأمر الله تعالى، من غير بحث فيه، ولا تعرض لكيفيته وكميته)[٣]

ثمّ يحذّرهم من أن يكونوا كالأمم قبلهم من اليهود والنصارى فقال: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ١٠٢﴾[٤] وهنا يتوقف الاستطلاع عند هذا الحدّ، ولكن من الممكن أن يستعملوه في إدراك ما يؤمرون به وفهمه: كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما إلى ذلك، وأما غير ذلك فأمر

---

(١) قد يقال: إن السؤال لا يدخل دائما في حب الاستطلاع، فأحيانا يدخل في باب اللجاجة والتمحل. والجواب: أن السؤال في الأصل هو للاستطلاع مهما كان نوعه. والتمحل واللجاجة استثناء، وقد يكونان – أيضا – لاستطلاع ما عند المسؤول من الصبر والعلم.

(٢) المائدة: ١٠١.

(٣) روح المعاني للألوسي: ٧/ ٣٩، وينظر تفسير أبي السعود ٣/ ٨٤.

(٤) المائدة: ١٠٢.

الإنسان أن يسكت، لأن السؤال قبل استقرار التشريع يشعر بأن الجواب خاص بالسؤال، أوأنّه بالسؤال فتح باباً من المحرمات لاينبغي أن يفتح، ولذلك يقول الرسول صلّى الله عليه وسلّم: "ذروني ماتركتكم؛ فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم"[١]

وفي رواية أخرى "إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرّم فحرّم عليهم من أجل مسألته"[٢]

أما إذا نزل الحكم واستقر التشريع فلا مانع من السؤال عن التفاصيل بعد ذلك، كما قال تعالى﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِيٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ﴾ وهذا نص في جواز السؤال بعد نزول الحكم وتقليبه والنظر فيه، ثمّ بعد ذلك يكون القياس عليه إذا توفرت فيه الشروط المعروفة عند العلماء، كما هو معروف ومقرر في كتب أصول الفقه.

٦ – التطلع إلى ما في أيدي الآخرين[٣]:

ومن الأمور التي وضع لها القرآن منهجاً حازماً لتهذيبها: حبُّ المال والتكاثر في جمعه، حيث دعا إلى الاعتدال في ذلك، وقد صوّرت الآيات ذلك

---

(١) أخرجه مسلم ٤/١٨٣١ في الفضائل، باب في توقيره صلّى الله عليه وسلّم وترك إكثار سؤاله. وأخرجه البخاري بلفظ "دعوني" ١٣/٢٥١ رقم ٧٢٨٨ في كتاب الاعتصام، باب الإقتداء بسنن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأخرجه النسائي ٥/ ١١٠ رقم ٢٦١٩ في الحج، باب وجوب الحج، وأحمد ٢/ ٤٢٩ برقم ٩٤٩١ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري ١٣/٢٦٤ رقم ٧٢٨٩ كتاب الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال، ومسلم ٤/ ١٨٣٠ رقم ٢٣٥٨ في الفضائل باب توقيره صلّى الله عليه وسلّم وترك إكثار سؤاله، وأبو داود ٤٦١٠، والشافعي في مسنده رقم ١٥، وأحمد ١/١٧٩، والحميدي رقم ٦٧، والطحاوي في مشكل الآثار ٢/٢١٢.

(٣) قد يقال: إن هذا بعيد عن الاستطلاع المعرفي، وهو أدخل في باب الحسد والغيرة والسعي وراء المظاهر. والجواب: أن الحسد وغيره لم يأت إلا من الاستطلاع الممنوع، وقد بينت – فيما سبق – صلة هذا البحث بالجانب الأخلاقي، وأنه لايقتصر على الجانب المعرفي فقط..

المتاع بصورة المتاع الزائل، السريع الفناء؛ ليخفف من رغبة النفس الجامحة في حب المال، فقال تعالى: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾[1]

(والمقصود الأصلي من الآية: تحقير حال الدنيا، وتعظيم حال الاخرة، فقال: الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر، ولا شك في أن هذه الأشياء أمور محقرة، وأما الآخرة فهي عذاب شديد دائم، أو رضوان الله على سبيل الدوام، ولا شك أن ذلك عظيم.[2]

ومن هنا نهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن ينظر الإنسان الى أهل الغنى والجاه الذين هم أغنى منه، فقال "انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم"[3] وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١﴾[4] (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تنظر إلى ما جعلنا لضُرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم، مُتْعة في حياتهم الدنيا، يتمتعون بها، من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها؛ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ. يقول: لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك، ونبتليهم، فإن ذلك فانٍ زائل، وغُرور وخُدَع تضمحلّ وَرِزْقُ رَبِّكَ الذي وعدك أن يرزقكه في الآخرة حتى ترضى – وهو ثوابه إياه – خَيْرٌ لك مما

---

(١) الحديد: ٢٠.

(٢) تفسير الرازي: ٩٢/٢٣٢-٢٣٣، وينظر تفسير البغوي ٢٩٨/٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٨٢/٢، وبرقم ١٠١٩٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم في أول كتاب الزهد ٢٢٧٥/٤ رقم ٢٩٦٣، والترمذي ٢٥١٣ في كتاب اللباس باب ما جاء في ترقيع الثوب، وابن ماجه ٤١٤٢ في كتاب الزهد باب القناعة والطبراني في المعجم الصغير ٢ /١٢١، والبغويّ في شرح السنّة ٢٩٣/١٤.

(٤) طه: ١٣١.

متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا. وأبْقَى. يقول: وأدوم؛ لأنه لانقطاع له ولا نفاذ.)[١]

فقد نهت الآية عن مدّ العينين بالنظر (ومدّ النظر: تطويله، وأن لايكاد يردُّ استحساناً للمنظور به... وفيه: أن النظر غير الممدود معفوعنه، وذلك كما إذا نظر الإنسان إلى شيء مرّة ثمّ غضّ، ولمّا كان النظر إلى الزخارف كالمركوز في الطباع قيل: (ولا تمدنّ عينيك) أي لاتفعل ما أنت معتاد له).[٢]

ومعنى هذا أن الإنسان إذا نظر إلى من هو فوقه تحسّر على ما فاته ورأى أن ما أعطاه الله قليلاً، ورأى نفسه قليل الحظ في هذه الحياة الدنيا فيحتقر نعمة الله عليه، حيث يراها قليلة لا تستحق الحمد؛ فيصل إلى الضلال والشقاء، ولذلك حثّ الرسول الكريم على النظر إلى من هم دونه؛ لكي يرى نعم الله عليه كثيرة؛ فيبادر إلى شكر المنعم سبحانه، ولذلك فإن مجالسة الأغنياء هم وغم، ونقص للإيمان. وقد يظن الإنسان أنه يملك نفسه ولكنه في قرار نفسه يتمنى أن يكون مثلهم أو أحسن منهم، وهذا التمني لو ركض الإنسان وراءه تعب طيلة حياته، ولذلك قال عوف بن عبد الله بن عتبة الهذلي: كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموماً، كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي ودابة أفره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت من الغم.[٣]

٧- التطلع إلى عورات الآخرين:

قد تدفع غريزة حبُّ الاستطلاع صاحبها للنظر إلى عورات الآخرين، ومنعاً لذلك وضع القرآن حدوداً للحفاظ على حقوق الغير، وهذا بابٌ واسعٌ جداً أجمله القرآن، وفصلته السنّة تفصيلاً تاماً، حتى لا يعتدي أحد على أحد، ولا يقتحم أحد على ملك أحد، فشرّع الاستئذان لدخول البيوت أو للنظر فيها أو للنظر في كتاب الآخرين.

---

(١) تفسير الطبري: ٩/ ٢٣٥.
(٢) تفسير الرازي: ٢٢/ ١٣٥.
(٣) إتحاف السادة المتقين ٦/ ٣٦٠ (شرح إحياء علوم الدّين).

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾.(١)

وهذا التهذيب الرائع لغريزة حب الاستطلاع لا يقتصر على الكبار فقط، ولذلك أمرنا القرآن أن نلزم الأولاد والخدم بهذه الآداب؛ حتّى يتدربوا عليها، فقال تعالى:

﴿ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ ٢٠﴾(٢) والسنّة النبويّة فصّلت كلّ مالا يجوز الاطلاع عليه حتّى لو وجدت أخاك يقرأ في ورقة أو كتاب أو رسالة فلا يجوز النظر إليها والاطلاع عليها إلا بإذنه، وفي ذلك يقول الرسول صلّى الله عليه وسلّم: "لا ينظر أحدكم في كتاب أخيه إلا بإذنه"(٣)

كما حذرت السنّة من النظر والتطلّع في بيوت النّاس تلمّسا لعوراتها فقال

---

(١) النور: ٢٧-٢٩ وينظر التحرير والتنوير المجلد ٩ الجزء ١٨ ص ١٩٦.
(٢) النور: ٥٨ – ٥٩ ينظر المرجع السابق ص ٢٩١.
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤ / ٢٧٠.

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "لو اطّلع في بيتك أحد ولم تأذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح"[١].

ومن جانب آخر أمر القرآن الكريم المؤمنين بغض البصر عن النساء، فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[٢] (فإن قيل: لم قدم غض الأبصار على حفظ الفروج؟ قلنا: لأن النظر بريد الزنا، ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يقدر من الاحتراس منه.)[٣]

وهكذا نرى أن الله سبحانه فتح لنا من خلال كتابه الكريم باب الاستطلاع في الأمور التي تعود بخيرها على الإنسان، وحرّم علينا الاستطلاع في الأمور التي تجلب الشرَّ والفساد لهذا الإنسان، وإذا أردنا الاسترسال في بيان الاستطلاع المباح والاستطلاع المحرّم لطال بنا الموقف، وفيما ذكرناه كفاية لنلفت أنظار الباحثين إلى كيفية تهذيب القرآن لغرائز الإنسان.

---

(١) أخرجه البخاريّ١٢/ ٢١٦ رقم ٦٨٨٨ في الديّات باب من أخذ حقه أو اقتصّ دون السلطان. أخرجه النسائي ٨ / ٦١، وأحمد ٢/٢٤٣، والبغوي في شرح السنة ١٠ / ٢٥٤.

(٢) النّور: ٣٠ -٣١، وينظر التحرير والتنوير المجلد ٩ الجزء ١٨ ص٢٠٣.

(٣) تفسير الرازي: ٢٣/٢٠٥.

الخاتـمة

بعد أن انتهيت بحمد الله تعالى من هذا البحث يمكنني استنتاج ما يلي:

- أولا: أن غريزة حب الاستطلاع هي أسبق غرائز الإنسان التي تتناسب مع دوره الطليعي خليفة لله تعالى في هذه الأرض.
- ثانيا: أن القرآن الكريم حدّد لهذه الغريزة مجالاتٍ مشروعةً جعلها حلالاً، وأخرى ممنوعة جعلها حراما.
- ثالثا: أن تعطيل غريزة حبّ الاستطلاع أو الانحراف بها عن أهدافها بسبب الموانع المذكورة من اتباع الهوى والغفلة والتقليد الأعمى... وغيرها يعتبر جناية على عقل الإنسان ومجتمعه.
- رابعا: أن النظرفي تجارب الأمم والشعوب الماضية لأخذ العبرة والعظة سبب هام للبعد عن الأخطاء والتجارب الفاشلة.
- وأهم التوصيات: حثّ الباحثين المهتمين بالدراسات النفسيّة والاجتماعيّة على دراسة القرآن دراسة متفحصة متعمقة للغوص في معاني كتاب الله الكريم والنظر في دقائقه المترابطة التي لا تنتهي، لأن البداية الصحيحة مضمونة الثبوت، وبالتالي فإن النتائج لابد أن تكون صحيحة، ولو أحسن المسلمون استطلاعاتهم في المجالات النافعة التي وجههم القرآن اليها لكانت كافية لهم ليكونوا أسياد العالم في سائر مظاهر الحياة، كما كانوا، والأمل موجود، والله المستعان.

المصادر والمراجع

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدّين محمد مرتضى الحسيني الزبيدي مطبعة عيسى الحلبي بمصر ١٣١١ هـ تصوير دار الفكر بيروت.
- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الحمن حسن حنبكة ط٦ دار القلم دمشق ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢ م.
- الاستيعاب بأسماء الأصحاب لابن عبد البر ط دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٦٥ م
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ط المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٠ هـ.
- أصول التربية وعلم النفس د. محمد رفعت رمضان ورفاقه ط دار الفكر العربي/القاهرة ١٩٨٤م.
- أصول علم النفس الحديث. د. عبدالرحمن العيسوي. المكتب العربي الحديث الإسكندرية مصر.
- البداية والنهاية لابن كثير بتحقيق مجموعة ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥ م.
- تاج العروس ط دار الجيل المحققة بيروت.
- التربية الأخلاقية الإسلامية. د. مقداد يالجن ط. مكتبة الخانجي مصر ١٩٧٧م.
- تفسير أبي السعود/ ط دار إحياء التراث – بيروت الطبعة الأولى.
- تفسير البحر المحيط لأبي حيّان (محمد بن يوسف الأندلسي) ط ٢ دار الفكر بيروت ١٩٧٨ م.
- تفسير الجواهر للطنطاوي جوهري ط مصطفى الحلبي بمصر الطبعة ٣ ١٣٥٠هـ
- التحرير والتنوير لابن عاشور ط تونس دار سحنون ١٩٧٣م.
- تفسير روح المعاني للألوسي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

- تفسير الطبري ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢ م.
- تفسير القاسمي (محاسن التأويل) بتخريج محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الفكر بيروت ط٢ عام ١٩٧٨ م.
- تفسير القرطبي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
- تفسير ابن كثير ط دار الفكر بيروت ١٩٦٢ م.
- التفسير الكبير للفخر الرازي ط دار إحياء التراث العربي ط٣ عن طبع المطبعة البهية بمصر ١٣٢٨ هـ.
- تفسير المراغي طدار الفكر بيروت ط٣ عام ١٩٧٤ م.
- التفسير المنير – وهبة الزحيلي طدار الفكر بيروت – دمشق ط١ ١٩٩١ م.
- التمهيد لابن عبد البر ط المغرب ١٩٨٩م.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي تصوير دار الكتب العلمية بيروت عن الطبعة الأولى - التاريخ الكبير للبخاري ط الهند دار المعارف العثمانية ١٣٨٠ هـ.
- تفسير البغويّ بهامش الخازن ط الحلبي بمصر ١٩٥١م.
- تهذيب الخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه منشورات مكتبة العباسية مصر.
- جامع المسانيد لأبي حنيفة جمع الخوارزمي ط الهند دار المعارف العثمانية.
- حلية الأولياء ط الهند ١٣٥٧ هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ط الحلبي بمصر ١٣١٤هـ.
- دستور الأخلاق في القرآن د. عبدالله دراز. مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- سنن الترمزي ط دار الحديث بالقاهرة تحقيق أحمد شاكر.
- سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وط عيسى الحلبي بمصر ١٩٥٤ م.
- سنن أبي داود وتحقيق محي الدين عبد الحميد ط المكتبة العصرية بيروت.
- السلسلة الصحيحة للألباني ط دار المعارف بالرياض السعودية ١٤١٥هـ.
- سنن النسائي بعناية عبد الفتاح أبو غدّة وط دار البشائر الإسلامية بيروت وحلب ط ١٤١٤هـ.

- شرح السنن للبغوي (تحقيق شعيب الأرناؤط) المكتب الإسلامي بيروت ط ٢ ١٩٨٣ م.
- صحيح البخاري (فتح الباري) ط المطبعة السلفية بمصر ١٣٧٩هـ.
- صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان) ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٨م.
- صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط عيسى الحلبي ١٩٥٥م.
- طبقات ابن سعد وط دار الشعب بالقاهرة ١٩٦٣ م.
- علم لنفس العام د. عبدالحليم محمود السيد وآخرون. مكتبة غريب ط٣ مصر ١٩٩٠م.
- الغرائز وعلاقتها بالتربية محمد حسنين غمراوي بك مطبعة أمين هندية بالموسكي ١٣٣٨هـ ١٩٢٠م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري.
- القرآن وعلم النفس د. محمد عثمان نجاتي دار الشروق القاهرة ط٣ ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
- الكامل في الضعفاء لابن عديّ ط دارالفكر بيروت ١٩٨٤م.
- لسان العرب ط دار صادر.
- مدخل الفلسفة. جون هرمان رندن وجوستاس بوخلر ترجمة د. ملحم قربان- دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٣م.
- مدخل إلى علم النفس د.عبدالرحمن عدس ود.محيي الدين توق. دار الفكر للنشر والتوزيع ط٣ عمان الأردن.
- مسند أحمد تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين ط دار الحديث بالقاهرة ١٩٩٣م.
- مسند الحميدي ط المغرب (دار الحسنين) ١٩٦٤م.
- معالم علم النفس. د. عبدالرحمن العيسوي / دار المطبوعات الجامعية مصر.
- مشكل الآثار للطحاوي ط الهند ١٣٣٢هـ.

- مسند الشافعي (شفاء العي بتخريج مسند الشافعي) ط دار الرياض ١٩٩٣
- المستدرك للحاكم ط الهند (دار المعارف العثمانية) ١٣٣٩هـ
- مصنف عبد الرزاق ط الهند الطبعة الأولى ١٣٣٩هـ
- مصنف ابن أبي شيبة ط الهند ١٣٣٢هـ.
- المعجم الصغير ط ١ ط دار الرياض بالسعودية ١٩٨٢م.
- المعجم الكبير للطبراني ط العراق مكتبة المتنبي ط ٣ ١٩٨٢م.
- مجمع الزوائد ط عيسى الحلبي ١٩٥٢ الأولى.
- المعجم الأوسط للطبراني ط دار الحرمين ١٩٩٠م.
- معجم المصطلحات النفسية والتربوية. د. محمد مصطفى زيدان دار الشروق بيروت ط٢ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
- المعجم الفلسفي. د. جميل صليبا دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م.
- مفردات الفاظ القرآن للأصفهاني دار القلم دمشق ط٣ ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- مقدمة في علم النفس. د.راضي الوقفي ط٢ المؤسسة الصحفية الأردنية ط٢ ١٩٨٩م.
- منحة المعبود.طبع بولاق الأولى.
- نظم الدرر للبقاعي (أبي الحسن إبراهيم بن عمر) ط مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ١٩٦٩م.